

الأفق الحديث

في حسن نظم القرآن

تأليف

عبد المنعم الصبوري

المدرس بالجامع الاحمدى

الجزء الاول

قال القاضى أبو بكر بن العربى

« ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالسلسلة
الواحدة متسمة المعانى منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له
الاعالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله ثنائيه قلالم
نجد له حلة ختمة اعليه وجعلناه يتناوب بين الله وردناه اليه .

جذوق الطبع محفوظه

٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

الطبعة العمومية بطرابلس

الأفق الجديد لنا

في حسن نظم القرآن

تأليف

عمر المنعال الصعبري

المدرس بالجامع الاحمدى

الجزء الاول

قال القاضى أبو بكر بن العربى

« ارتباط آي القرآن بمغناها ببعض حتى تكون كالسكّة
الواحدة متسعة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له
الاعالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم
نجد له حيلة ختمنا عليه وجعلناه يئسنا وبين الله ورددناه اليه .

جقوق الطبع محفوظه

الطبعة العمومية بطنطا

أهداء الكتاب

الى الشباب الناهض من أبناء المسلمين عموما . وأبناء
للمعاهد الدينية خصوصا . أهدى كتابي هذا كنموذج لما
يطلبونه لمعاهدهم من الكتب الحية . والتسايف التي
تدب فيها روح الحياة الجديدة . وكواجب على شخص
نادى فيهم بالاصلاح فلقى منهم آلافا تردد صوته . وتتغاب
على صوت اليأس الذي كان يحاول أن يصل الى نفوسهم
حتى شعرت الامة والحكومة بحاجتهم الى الاصلاح .
وألفت وزارات جعلت أول ما يعنىها القيام به . وألفت أحزاب
من الامة جعلته مما تسمى اليه لدى الحكومة . فأى فوز
بعد هذا ينسبني تلك الآلام التي لقينها في سبيل تلك
المبادئ من نفر كنت معهم كما قال بعض الشعراء

أريد حياته ويريد قتلى عزيرك من خليلك من مراد
فالى أولئك الذين أثمرت فيهم تلك المبادئ أهدى
كتابي هذا . ولا أقصده به بعد الله زلفى لكبير . وهو حسبي
وانعم الوكيل

عبد المتعال الصعير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل القرآن معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم بيلافته التي أعجزت خول البلغاء . وحسن نظمه الذي حارت فيه عقول الأذكياء . وحنى سره فلم يدركه إلا من أنار الله قلبه . وكشف عن بصيرته .

وبعد فلا يخفى أن القرآن نزل مفردا في ثلاث وعشرين سنة . وأن هذا الترتيب الذي نقرؤه ليس على ترتيب النزول فقد تكون الآية تلو الآية وبين نزول الأولى والثانية عدة سنين . وهذا كان سببا في صعوبة إدراك ما بين آياته من اتصال . وما في نظمه من تناسق . حتى عد هذا بعض فلاسفة الفرنج مثل (دوزي) الهولندي و (كارليل) الأنجليزى عيبا يؤخذ على القرآن . فانه في نظرهم جاء مخالفا في ترتيبه للكتب الوضعية . فليس له مقدمة مثلها . ولا مباحث متسلسلة ذات مقاصد محدودة في فصول معدودة كما يحتملها . بل هو آيات مجتمعة ذات مقاصد مختلفة آية

وعظ تنلوها آية جهاد تتبعها آية فقه بمدها قصة رسول .
الى غير ذلك مما لا يحصى على قانون الكتابة البشرية . ولا
يتفق مع نظام التأليف المعروف

وبرى الأستاذ محمد فريد وجدى أنه لا شئ فى عدم
مراعاة القرآن قانون الكتابة البشرية . بل لو كان على مثال
الكتب الوضعية فى الترتيب والتبويب لكان كتابا وضعيا
لا سماويا . فالترتيب يقتصر سلطانه على الكلام البشرى .
ويجمل عنه كلام الله كما يجمل البحر عن ابن يحد بما تحد به
الجداول

وهذا كلام خطائى لا يقوى على النقد . ولا يثبت
أمام البحث . فالقرآن لم يخل من الترتيب الذى قال أنه يخل
عنه . فقد نزل مفرقا كما قلنا ثم رتب على هذا الشكل الذى
تراه الآن . ثم ان له فائحة كمقدمة الكتب وله سور
كأبوابها . ولو لم يكن ترتيبه على خلاف ازمئة نزوله لاجل
ومنع المناسب بجانب المناسب . وضم الشبيه الى الشبيه . اكان
المدول من ترتيبه على ازمئة نزوله الى هذا الترتيب عيشا

وبلا حكمة . وهذا محال على الله سبحانه وتعالى
وأنه لمن أعظم الخطر أن نسلم لهؤلاء القوم أن القرآن
لا ترتيب فيه . ولا اتصال بين آياته . ولا ارتباط بين أجزائه
فأى شيء يمكننا أن نقنعهم به بعد هذا فيسلموا أنه لا عيب
فيه على القرآن . وأى شيء نقوله لهم إذا قالوا أن قرآنكم
سوى الترتيب . مفكك الأجزاء . مشتت المعاني والأفراض
أينفمنا أن نقول أن الترتيب حسن في كلام البشر غير حسن
في كلام الله . ومن الذي يقبل منا هذا والترتيب بحكم البداهة
حسن في كل شيء . ومطلوب في كل كلام فصيح
ولقد عني المتقدمون بتقسيم السور القرآنية إلى أرباع
وأجزاء متساوية القدر . لالشيء إلا تسهيل التلاوة والحفظ فلم
يعنوا فيها بضم الشبيه إلى الشبيه . ولا يجمع الآيات الواردة في
معرض واحد تحت اسم يجمعها . وتندرج به في السورة كما
يندرج الفصل في الكتاب . ولو عنوا بهذا لا ظهروا القرآن
أمام عامة الناس وخاصتهم متصل الأجزاء . محدود الأفراض
ولم يكن مثل دوزي وكارليل أن يرميه بأنه مفكك الأجزاء
غير محكم النظم . ولظهرت السور القرآنية أمام الناس ذات

فصول متآلفة . ترمى إلى اغراض واضحة . وتسير في طريق
لا انحراف فيه ولا تعرج . ولا يحيد عن الغرض العام الذي
وضعت له السورة

ولم يوجد من المفسرين من اعطى هذا الامر ما يستحقه
من العناية . اللهم الا قليل يقصد في بعض الأحيان لاظهار
المناسبة بين آية وآية . فلم يأت بالغرض المطلوب . ولم يحل
تلك المسألة المويضة التي تتمطش الى حلها النفوس . وتبحث
عمن ينظر لها في كل سورة نظرة اجمالية ليعرف الغرض
الذي وضعت له . ثم يقسمها بعد هذا الى فصول يمت كل
منها بسبب الى ذلك الغرض وتنتهي الى الغاية المقصودة من
كل سورة

وانها يوم تظفر بذلك يشفي منها العليل . وتحظى بأعظم
أمنية تريدها للقرآن الكريم . وأنامع اعترافنا بالعجز والتقصير
نحب ان نكون اول من يقوم بهذه الخدمة . مستمدين من
عون الله ما تقوى به ضعفنا . ومن هدايته ما ينير السبيل
امامنا . انه نعم الهادي الى سواء السبيل

من الف في هذا الفن

نقول هذا الفن مجازاة لمصاحب الاتقان الذي عده
 فنا من فنون القرآن . وهو علم جايل لم يصل اليه من العلماء
 الا القليل - قال ابن العربي في سراج المرادين . ارتباط آي
 القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالسكامة الواحدة متسمة
 المعاني . منتظمة المباني . علم عظيم لم يتعرض له الا عالم
 واحد عمل فيه سورة البقرة . ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد
 حلة . ورأينا الخلق بأوصاف البطلة . ختمنا عليه . وجعلناه
 بيننا وبين الله ورددناه اليه . وأول من تكلم فيه الشيخ
 أبو بكر النيسابوري وكان يزري به على علماء بغداد لعدم
 علمهم به . ومن ألف فيه الشيخ أبو جعفر بن الزبير شيخ
 أبي حيان . وكتابه فيه يسمى البرهان في مناسبة ترتيب
 سور القرآن . والشيخ برهان الدين البقاعي وكان معاصراً
 لجلال الدين السيوطي . وكتابه فيه يسمى نظم الدرر في
 تناسب الآي والسور . وقد أكثر نثر الدين الرازي من
 التعرض له في تفسيره الكبير . الا أنه لم يأت فيه بما يشفي

للغليل . ولم يتعرض في الغالب الا لظاهر المناسبة بين آية
وسابقتها أو لاحقتها . ولم نجده يتعرض لربط آيات السورة
كلها حتى تكون كما قال ابن العربي ككلمة واحدة . ولم
يعن بالبحث عن الغرض الذي سيقت له كل سورة وتنزيل
آياتها عليه . فهذا هو بيت القصيد . وفيه شفاء النفس
واصلاح الصدر . وارواء العقل

أما تلك الكتب السابقة فليس بين أيدينا منها شيء
ولعلمنا قد ذهبت بها يد الاهمال . وما نظمها كانت تغنى فيما
تطمح اليه النفس من هذا العلم قليلا . أو تؤدي من واجبه
قليلا أو كثيرا . والا لظهر اثرها في كتب المفسرين التي بين
أيدينا . فسنسير في هذا الطريق معتمدين بعد الله على
عقل لم نفرح به يوما فذل لنا . واقتحمنا به تلك الصعاب
فلم يهين علينا . حتى فاز منها بما لا يخرج عن طوق العقول
وبما سيجد له حيلة ان شاء الله

ولعل ابن العربي اعتمد في ذلك على مثل ما يعتمد عليه
الصوفية في تفسير القرآن من علوم باطنية وإلهامات خفية .
وإشارات دقيقة . فأنى في ذلك العلم بما رأى انه لا يمكن

أن يفهمه الناس وضمن به عليهم . وهم معذورون في عدم
اقبالهم على تلك الانغاز والرموز . وابتعادهم عن لا يخاطبهم
بلغة العقول . بل بلغة بدأ عصرها بالافول . وانصرف
الناس عنها الى ما يفيدهم في هذه الحياة الدنيا

اصول عامة

تمهيد

في القرآن فنون من الاحكام الفرعية والاعتقادية
والاخلاقية وغير هذا من فنون الوعظ وقصص الانبياء
وحكايات الصالحين والجبارين والطائمين والمعاصين . ولو أن
هذه الفنون قسمت على سور القرآن بحيث يكون بعضها
للأحكام الفرعية خاصة وبعضها للاحكام الاعتقادية خاصة
وبعضها للاخلاق وبعضها لقصص الانبياء الخ لكانت
كل سورة في غير حاجة الى هذا العلم لظهور المناسبات بين
آياتها . ولكن هل كان يمكن مع هذا أن يصل القرآن
الى حد الاعجاز ببلاغته وباهر نظمه . وأي بلاغة يمكن
أن تصل الى ذلك الحد في سورة لا تشمل ألا على أحكام
فقهاء صرفة ولا يتسع فيها المجال لتحريك المواطنين بتلك

الخلافة الساحرة . وذلك النظم العجيب
لهذا جرت عادة القرآن أن يخلط بين هذه الفنون في
سوره على الاصول والامثلة الآتية

(١)

إذا أخذ في سرد الاحكام الفقهية أو نحوها يأتي بعد
كل حكم منها إذا شاء بآية أو آيات في الوعد والوعيد ترغيب
في العمل به وتحذيراً من تركه

(٢)

إذا أخذ في سرد تلك الاحكام لا يفضى فيها إلى النهاية
بل يقطعها إلى ذكر قصص المتقدمين واعداء الدين ونحوها
تخوفاً في الكلام . وتنشيطاً للخاطر

(٣)

إذا ذكر احوال العصاة انتقل إلى ذكر التوبة إذا
شاء ليرغبهم فيها ويذكر أحكامها

(٤)

إذا ذكر آيات متعلقة بموضوع واحد فلا يأتي بها في
سياق واحد . لان المقصود من تلاوة القرآن أن تكون

عظة وذكرى ولو طال سرد الآيات في موضوع واحد فأت
هذا الغرض

(٥)

أذا ذكر قصص المتقدمين يأتي في خلالها إذا شاء بما
بدل على عظة أو عبرة . لأن هذا هو المقصود من ذكرها
في القرآن . أما ذكرها للعلم بها فهو وظيفة التاريخ

(٦)

أذا سرد احكاما فقهية فلا يراعى في الغالب أن يجمع
منها ما كان من نوع واحد . بل يراعى أوقات نزولها . أو
اشتراكها في حاجة الناس اليها في الوقت الذي نزلت فيه .
وعلى هذا لا يكون سرد الاحكام محتاجا الى تكاف مناسبات
كالتى يحتاج اليها في غيره . بل يكفي ذلك في صحة الجمع
بينها دون غيرها

(٧)

أذا ذكر شرائع واحكاما فقد يذكر بعدها ما يدل على
كبرياء الله وعظمته وحكمته لتؤخذ بالقبول . ويحذر الناس
من مخالفتها

(٨)

أذا ذكر شرائع وأحكاما فقد يذكر بعدها احوال يوم
القيامة وما يكون فيها من سؤال وحساب وثواب أو عقاب
تأكيدا للعمل بها

(٩)

أذا ذكر مثلا حال المؤمنين يتبعه ذكر حال الكافرين
والعكس بالعكس . لان النفس تتشوف الى معرفة الضد
بذكر ضده

(١٠)

أذا ذكر شيئا ألحق به نظيره لان الحاق النظير بالنظير
من شأن العقلاء كقوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق عقب قوله اولئك هم المؤمنون حقا فإنه تعالى أمر
رسوله أن يمضى لأمره في قسمة الغنائم علي كره من أصحابه
كما مضى لأمره في خروجه من بيته للقتال علي كره منهم
فكان الظفر والغنيمة

أذا ذكر شيئاً استطرده إلى ذكر ما يندبه وبينه مناسبة والاستطراد من مقاصد البلاغ . ويقرب من الاستطراد حسن التخلص وهو أن يتمثل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلصه اختلاصاً حتى لا يشعر به السامع أشدة الالتئام بين الأمرين . ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع مفصلاً بينهما (بهذا) كقوله في سورة (ص) بعد ذكر الأنبياء . هذا
 ذكروا أن للمتقين لحسن مآب

فهذه هي الأصول التي مشى عليها القرآن في الجمع بين تلك الفنون التي نزل لأجلها في سورة وفي الانتقال من غرض إلى غرض آخر من الأغراض التي تندرج تحت الغرض العام لكل سورة . وقد تكون هناك أصول أخرى غير التي ذكرناها . ولستنا في مقام حصر تلك الأصول وإنما نريد الإرشاد والتقريب . مستغنياً بما ستذكره في كل سورة من وجوه الربط والاتصال بالتفصيل عن الاطناب في هذا المقام وفيما ذكرنا من ذلك كفاية

فاتحة القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
اياك نعبد و اياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »

لم تسم هذه السورة فاتحة القرآن لانها اول سورة كما
يظن الكثيرون . وانما سميت بهذا لانها للقرآن بمنزلة
المقدمة للكتاب . فكما ان نظام التأليف يقتضى أن لا
يفاجئ المؤلف قراء كتابه بمقصوده منه . بل لا بد أن يضع
امامه مقدمة تبين غرضه من وضعه . لتكون ادعي الاقبال
عليه . كذلك لم يشأ القرآن الا أن يقدم امام مقصوده مقدمة
تشر به وتبين الغرض من انزاله للبشر

ولم يكد القرآن بابتدع هذا النظام الذى لم يسبق اليه
فى اللغة العربية ولا غيرها على ما نظن . حتى هذا حدوه كل
الكتاب . وسلك سبيله كل المؤلفين . وفى هذا اكبر دلالة
على انه أتى فى نظام وضع المقدمات للكتب بأحسن نظام واكمل

لا يمسك المؤلف قلمه ليخط أول سطر في كتابه الا
وقد احاط به أجمع الا . وتوفرت الدواعي عنده الى وضعه .
فمن الواجب عليه قبل أن يشرع في شيء من كتابه أن يحمده
الله الذي هداه لهذا . وأن يشكره علي ما اوجده فيه من
تلك الدواعي التي لولاها لما توجهت نفسه اليه . وقد قال الله
تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم . فبحمد الله يستمد العون منه
ويقوى علي اتمام مقصوده

وكذلك هو في حاجة الى الالتجاء الى الله بالدعاء لينال
منه امداد او عوناً فوق الذي يناله بتقديم الحمد والشكر .
وقد قال الله تعالى - ادعوني استجب لكم - . وبهذا وذلك
وجب في كل مقدمة كتاب أن تشتمل علي هذين الركنين
الحمد والدعاء - يضاف اليهما وكن ثالث هو براءة الاستهلال
وهو أن يوثق قبل الشروع في المقصود بما يشعر به . اعرف
القارئ الغرض من وضع الكتاب . ويكون علي بصيرة
منه قبل الشروع فيه . ولا يكون كن يسير في طريق لا
يعرف الى اين ينهي به

فهل فاتحة القرآن أو قل مقدمته تشتمل علي تلك

الاركان الثلاثة ؟ الجواب نعم

أما اشتغالها على الحمد والدعاء فلا خفاء فيه . فقد اغتنتجت
بالاول واختتمت بالثاني . ومرتبة الحمد قبل مرتبة الدعاء كما
يظهر بأدنى تأمل

وأما اشتغالها على براعة الاستهلال فظاهر أيضا . لان
سورة الفاتحة تشتمل على ما حقق في كتب التفسير على معان
القرآن واغراضه اجمالا . وفيها اشارة الى ان المراد وضع
تشريع جديد . وهدى الناس الى الصراط المستقيم والدين القويم
الذي اتى به الانبياء . وحصل الناس عنه بفعل من خلفهم من
الاتباع والرؤساء الذين حرقوا كتبه وأدخلوا فيه كثيرا من
الزيغ والفساد . وهذا هو الغرض من القرآن الكريم
وبالاشارة اليه في الفاتحة ثم اشتغالها على الاركان الثلاثة
اللازمة لمقدمة الكتاب . وباشتمال الفاتحة عليها تبين أن
للقرآن مقدمة كسائر الكتب . وأنه لم يخالف قانون
الكتابة في ذلك كما زعم الزاعمون

وافد كان العرب في الجاهلية يفتتحون كلامهم (باسمك
اللهم) وهي كلمة جافة تناسب ما كانوا عليه من غلظة الطبع

وقسوة النفوس . فاستبدل القرآن بهذا « بسم الله الرحمن الرحيم » وأثر هذين الاسمين على غيرهما من اسماء الله الكريمة لاجل أن يشير الى أن الدين الجديد دين رحمة لا يأخذ النفوس بالقسوة . ولا يكافها مالا تطيق . وأن ديننا هذا شأنه لجدير بأن يقبل الناس عليه . ويسيروا تحت لوائه . فانظر ماذا في الافتتاح « بسم الله الرحمن الرحيم » من الترويج لهذا الدين الجديد . وهكذا كل شارع في امر جديد لا يغفل عن الترويج له . والتنويه بشأنه . وكم تحت آيات القرآن من اسرار ودقائق

سورة البقرة

سميت هذه السورة بذلك لأن قصة البقرة التي ذكرت فيها اهم شيء يمكن أن تمتاز به عن غيرها . والغرض منها دعوة بني اسرائيل الى الايمان . وأنما قدم دعوتهم على غيرهم من النصارى والمشركين لانهم أقدم من النصارى ولأن كثيرا منهم كان قاطنا بجوار المسلمين بالمدينة . ولانهم أهل كتاب بخلاف المشركين فأمرهم أهم من أمرهم

ولما كان القرآن هو الداعي إلى الإيمان وجب الاهتمام
بأثبات أنه من عند الله قبل البدء بتلك الدعوة ليكون ذلك
كتمهيد لها . ولما كان الإيمان عبارة عن أصول وفروع وكانت
منزلة الأصول قبل منزلة الفروع جعل دعوتهم على قسمين
فدعاهم في الأول إلى أصول الإيمان من التصديق بالنبي والقرآن
وسائر ما جاء به وأقام لهم الأدلة على نبوته ودفع ما عندهم
من شكوك فيها . ودعاهم في الثاني إلى فروعه فبين لهم
من أحكامه العملية ما شاء . وقد عمهم بالدعوة إليها في أول
حكم منها ثم خاطب المؤمنين بها لأنهم المقصودون بها والذين
يقومون بما كلفوا به منها

ولما فرغ من هذا وذاك وقام بواجب الدعوة من الوجهة
النظرية فأقام الأدلة ودفع الشبه وبين ما أراد من محاسن
أحكام الإسلام . انتقل إلى بيان وسائل نجاح الدعوة من
الوجهة العملية فرغب النبي والمؤمنين في القتال في سبيل
الله . وأنفاق المال في أعلاء كلمته . ثم ختم السورة بالتنويه
بشأن من أجاب الدعوة ولم يتكبر كما تكبر نبيو إسرائيل بل
سمع وأطاع وعد ذلك قليلا بحساب ما الله عليه من حقوق

وواجبات فهذه أمور خمسة تعرضت لها هذه السورة تراها
متناسبة الوضع . حسنة الترتيب . لها تمهيد ومقاصد وخاتمة
كأني بصنع مثلها في السكتب الوضعية

﴿ القرآن من عند الله ﴾

لم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين

الآيات الى قوله تعالى

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

اثبت أن القرآن من عند الله بدليلين أولهما أن القرآن
هاد الى الصراط المستقيم . وكل ما كان كذلك فهو من عند الله
لان من يدعو الى الله ويهدي اليه لا يصح أن يكذب عليه
ثم ذكر أن من لم يهتد به اما معاند وأما منافق . فالاول
قد ختم الله على قلبه فلم يهتد به . والثاني في قلبه مرض يقف
به في نصف الطريق فيؤمن بلسانه ولا يؤمن بقلبه . ومثله في
هذا الايمان الذي لم ينفعه كمثل من أوقد نارا اضاءت ماحوله
ولم تلبث أن ذهبت قبل أن تضيئ نفسه . وقد ذهب في بيان
حال للفريقين ما شاء ثم أمرهم أن يؤمنوا بالله الذي خلقهم

ويتركوا العناد والنفاق

وثاني الدليلين أنه لو كان القرآن من عند النبي لا يمكنهم أن يأتوا بمثله لأنه بشر وهم بشر. ولكنهم لا يمكنهم أن يأتوا بمثله . فهو من عند الله لا من عنده

وبعد أن قرر هذين الدليلين دفع ما اعترضوا به من أن فيه ما لا يصح أن يكون من عند الله من ضرب المثل بالبعوض والذباب . فقال أن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها . فكل ما يفعله الله لا يخلو من حكمة . علم ذلك المرمنون فاهتدوا وجهل به الكافرون فضلوا وكفروا بالله وهو الذي أحياهم من العدم للبع الخ

ثم ضرب قصة آدم لذلك مثلاً . وبين أن اللاتسكة وهم أرق منهم كانوا يجهلون حكمة الله في خلق آدم فلما علموا بها أقروا بفضله . وأمرهم بالسجود له فاطاعوا . وعلموا أن كل شيء من الله فهو لحكمة وإن خفيت عليهم . أما إبليس فجهل ذلك كما جهل الكفار الحكمة في ضرب الأمثال وعاند مع جهله كمنادهم . فكان جزاؤه الطرد من الجنة . وإن حقت عليه اللعنة إلى يوم القيامة

﴿ دعوة بنى اسرائيل الى الايمان ﴾

يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وافوا
بعهدي اوف بعهدكم واياى فارهبون

الآيات الى قوله تعالى

وقال الذين اتبعوا اوان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك
يرىهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار

قد سلك فى دعوة هؤلاء القوم طريقين اولهما يتعلق
بهم من حيث انهم شعب خاص من ولد اسحاق بن ابراهيم
والثانى يتعلق بهم من جهة ابناؤهم اسماعيل بن ابراهيم وقد
عنى فى كل من الطريقين بأمرين اولهما دعوتهم الى الايمان
بمختلف الوسائل من اقناع وترغيب وترهيب وغيرها. والثانى
دفع ما عندهم من شبه واعتراضات

الطريق الاول (١)

بداء بتذكيرهم بنعم الله عليهم ترغيبا لهم فى الايمان.
وبالعهد الذى اخذه عليهم أن يؤمنوا بهذا النبي ثم ذكرهم
ثانيا بنعمه ليسلك بهم سبيل الترهيب ويحذرهم بوما لا

تجزى نفس عن نفس شيئاً. ثم اخذ يقص عليهم أخبار آباؤهم
 الاولين واحداً اثر واحد وكيف كانوا يجازون على الطاعة
 بالخير العظيم . وعلى المعصية بالمصائب والشدائد. لتلين قلوبهم
 ويحذروا مما وقع فيه اسلافهم . واسكنهم قست قلوبهم من
 بعد ذلك حتى صارت كالحجارة أو أشد قوة (وأن من الحجارة
 لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان
 منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)

(٢)

ثم ذكر أن مثل هؤلاء لا يطمع في أيمانهم لأنهم فريقان
 فريق عرف صدق النبي ولكنه لا يرضى أن يغضب قومه
 وفريق أعماه الجهل فلا يعرف من الكتاب للنزل عليه إلا أمانى
 كاذبة . منها أنهم يزعمون أن النار لا تمسهم إلا أياماً معدودات
 مع أن من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فهو مخل في النار
 (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم
 فيها خالدون)

(٣)

ثم اخذ يقص ما كان من اسلافهم مع أنبيائهم من تقص

هو دهم وتكذيب كل من جاءهم منهم بما لا تهوى أنفسهم
أو قتله . وهذا هو الذى يفعله خلفهم مع هذا النبى وقد كانوا
يستفتحون به على أهل يثرب قبل أن يهاجر اليهم . فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به بغيا وحسدا . وقالوا عندنا التوراة أمرنا
أن نؤمن بها ونكفر بما وراءها . ولو كانوا يؤمنون بها
كما يزعمون ماقتلوا الانبياء الذين جاؤهم لتقريرها . ولما عبدوا
المجلى والاولئان من بعد وفاة موسى بل فى حياته لما تركهم
ليسمع وحى الله فوق الطور فاستفواهم السامرى الى عبادة
ولما آثروا الحياة الدنيا على الآخرة التى تكون خالصة لهم
لو كانوا هم المؤمنين . فهم احرص من الناس على الحياة وأبعدهم
عن العمل الآخرة . ولما عادوا جبريل لانه نزل عليك القرآن
بأذن الله وهو من الملائكة الذين لا يعاديهم الا الكافرون
(من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فأن
الله عدو للكافرين)

(٤)

ثم ذكر أن الذى انزل عليه ليس مما امروا أن يكفروا
به وإنما هو آيات بينات ما يكفر بها الا الفاسقون . وقد

أخذ عليهم العهد أن يؤمنوا بها إذا جاءتهم لا أن يكفروا بها . ولكنهم نبذوا ذلك العهد واتبعوا كتب الكفر والسحر التي ينسبها الأشرار كذبا إلى سليمان بن داود (ولو أنهم آمنوا واتبعوا المشيئة من عند الله خير لو كانوا يعلمون)

دفع الشبهة

هذا هو المقصد الثاني في هذا الطريق . وقد ابتدأه بتحذير المؤمنين من هؤلاء القوم ومما كانوا يؤذون به النبي من قولهم راعنا وغيره . وبين أنهم لا يودون لهم من خير . كل هذا تهديد الماسيذ كره من شبههم وتحذير لهم منها . وقد ذكر لهم شيئا ثلاثة أواها تتعلق بالنسخ فزعموا أنه لا يجوز على الله . وقد أجابهم عنها بأن في النسخ من المصاحفة ما يقطع معها بجوازه . وبأن الله له ملك السموات والأرض ينسخ ما يشاء ويثبت ولا شريك له في ملكه . ولا حق لاحد في أن يسأل رسوله عن ذلك سؤال تعنت كما كان يسأل موسى من قبل . وأن مثل هذا السؤال لا يولد في نفوس اليهود إلا الحسد والحقد على المؤمنين . والواجب عليهم أن يتأملوا هذا بالعفو والصفح حتى يأتي أمر الله بالفتح والنصر

فانيها ما زعموه من أنه لا يدخل الجنة الا اليهود والنصارى
وقد اجاب عن هذا بأنه من الاماني الكاذبة وانما يدخل الجنة
بالاعمال الصالحة . وبأن اليهود والنصارى ليسوا علي اتفاق
في ذلك . فاليهود تقول في النصارى انها ليست علي شيء كما
تقول النصارى مثل هذا في اليهود فكذلك يقولون مثل
هذا في غيرهم . وكلها أقوال فارغة يعبر الله أنها باطلة . ومن
أظلم من اليهود والنصارى وكل منهما ليس في تخريب بيوت
الآخر التي يذكر فيها اسم الله كما خربت النصارى بيت المقدس
لان اليهود يولون وجوههم اليه أما المسلمون فلا يستحلون
تخريب تلك البيوت ويرون أن الانسان أينما ولي وجهه قسمة
وجه الله سواء تلك البيوت وغيرها . ثم هم مع ذلك يعبدون
مع الله آلهة أخرى أولادا وأنثادا ونحوها

ونالها ما زعموه من أنه لا معجزة لهذا النبي كغيره
من الانبياء وقد أجاب عن هذا بأن الله أرسله بالحق الواضح
بشيرا ونذيرا فليس في حاجة إلى مثل تلك المعجزات . وبأن الله
يعلم أنهم لا يرضيهم منه إلا أن يتبع ملتهم ولو جاءهم بتلك
الآيات . وبأن الكتاب الذي أنزل عليه هو معجزته عند من

يتلوه حق تلاوته (أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون)

الطريق الثاني

بدأه أيضا بتذكيرهم بنعم الله عليهم وأنه فضلهم على غيرهم ترغيبا وبتخويفهم من يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ترهيبا . ثم أخذ يقص عليهم من أخبار جدتهم ابراهيم ومهمهم اسماعيل ما يثبت لهم فضل العرب الذين بعث النبي منهم . وقد كانوا يرونهم أمة حقيرة لا يصح ان يبعث منها نبي من الانبياء . فذكر أنهما هما اللذان بنيا البيت وجمعه لاه قبله للناس وشرعا الحج اليه . وطلبا من الله أن يجعله أمنا للناس وأن يرزق أهله من الثمرات . وأن يبعث فيهم رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويرشدهم إلى صلة ابراهيم التي لا يرغب عنها الا من سفه نفسه . من اليهود والنصارى ومشركي العرب الذين يفخرون بنسبتهم إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويخالفون شريعتهم التي وصى بها ابراهيم بنيه من بعده (تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون)

دفع الشبه (١)

ثم ذكر لهم شبهتين في هذا الطريق أولاها أنهم زعموا أن اليهودية أو النصرانية هي ملة إبراهيم وقد أجاب عن هذا بأن ملة إبراهيم كانت شريعة الانبياء من إبراهيم إلى موسى وعيسى . فهي لا تفرق بين بني نبي كما تفرق اليهودية الموجودة الآن والنصرانية

والثانية أنهم زعموا أن ذلك البيت لم يكن قبلة الانبياء وإنما هي بيت المقدس . فنقول عنهم - ألى ذلك البيت بعد أن كان يستقبلها تبع الانبياء من قبله لا يكون نبيا وقد أجاب عن هذا بجوابين أولهما أن المشرق والمغرب والجهات كلها لله فله أن يختار منها أي جهة شاء . والتغالي في مسألة القبلة الى هذا الحد لا يليق بالامة الاسلامية التي جعلها الله أمة وسطا واختار لها ديننا لا أفراط فيه ولا تفريط . وإنما جعل الله قبلة المسلمين ذلك البيت لأنه رأى نبيه يقاب وجهه في السماء ليجمعه قبلته بعد أن رأى أن اليهود لم يشمر فيهم - ثم تحويل القبلة الى بيت المقدس . ورأى أن الاسلام لا يقوم الا بالعرب الذين لا يرضون الا ذلك البيت قبلة لهم . لان في ذلك

حياتهم وتحقيق دعوة جددهم ابراهيم
 ثانيهما ان اهل الكتاب يعلمون ان استقبال ذلك البيت
 هو الحق ولكنهم يكتفون به تعصبا ولا يتبعونه كما لا يتبع
 بعضهم قبلة بعض . فهم يعرفون كما يعرفون ابناءهم ان
 النبي الذي يبعث من ولد اسماعيل يستقبل ذلك البيت الذي
 بناه مع ابيه ابراهيم فالواجب على المسلمين أن يستقبلوه
 حينما كانوا لئلا يكون لاهل الكتاب حجة عليهم اذا تركوه
 الى غيرهم . وليعلموا ان الله اراد ان يتم نعمته عليهم بذلك بعد
 ان جعل رسوله منهم . فليشكروا الله وليستعينوا على اذى
 هؤلاء القوم بالصبر والصلاة . فسيصيبهم من ذلك الاذى
 شئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس ولكن
 ذلك تكون عاقبته خيرا اذا تحمله المسلمون والتجأوا الى الله
 في دفعه عنهم (اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
 هم المهتدون

(٢)

ثم ذكر ان الصفا والبركة كالبيت الحرام من شعائر
 ابراهيم . وأن هذا معلوم لليهود ايضا ولكنهم يكتفون به

من بعد ما بينه الله لهم في الكتاب . وأوعدهم على هذا بأن
عليهم لعنة الله (خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون)

(٣)

ثم ختم دعوتهم إلى الإيمان بتذكيرهم بأن الله واحد
وأن هذا لا يتفق مع الخيالاتهم رؤساءهم انداداً يحبونهم
كحب الله . ويطيعونهم في رفض دعوته طاعة عمياء . مع
أنهم لا يفتنون عنهم من عذاب الله شيئاً بل يتبرأون منهم
حينما يرون هول ذلك العذاب . وحينذاك يقول الذين
اتبعوهم (لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك
يرىهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار
أحكام الإيمان

يأيتها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين

« الآيات الى قوله تعالى »

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون

الاحكام التي ذكرت في تلك الايات هي - ١ - تحليل
الطيبات التي حرمها الكافرون على انفسهم اتباعا للشيطان
ولما وجدوا عايه آباءهم ولو كانوا لا يعقلون شيئا. وانما حرم
الله عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير لا غيرها . ولكنهم
يكتُمون ما انزل الله في ذلك ويشترون به ثمنا قليلا . وليس
من البر ان يفعلوا ذلك الامر الكبير . ويهتمون بالاسور
الثانوية في الدين كتولية الوجوه في الصلاة الى المشرق
والمغرب وانما البراعتقاد صحيح (بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب والنبين) وعمل جميل من صدقة وغيرها . وخلق
حسن من صبر وصدق وغيرها . فان هذا هو الذي
يصد عن اتباع الباطل وكنتم الحق مما أنزل الله - ٢ -
القصاص . انه يجب فيه أن يؤخذ الحر بالحر . والعبد بالعبد
والانثى بالانثى . وأن العفو وأخذ لدية جائز في الاسلام
- ٣ - طلب الوصية للوالدين والاقربين عند الموت - ٤ -
فرض صيام شهر رمضان على الذين يطيقونه . ووجوب
العديّة على من لا بطيقه لعذر دائم . ووجوب فضائه على
من يفوته صيامه لعذر طارئ . ونُدب احيائه بالذكر والتكبير

والدعاء . ونحریم الرفث فی نهار رمضان ونجویزه فی لیلته
ونجویز الاكل والشرب حتی یتبیین الخیه ط لا یبض . من
الخیه ط الاسود من الفجر . ٥ - نحریم اكل اموال الناس بالباطل
- ٦ - عدم جواز الحج الا فی مواعیده التي جعل الله الأهل
مواقیت لها . وابطال اتيان البيوت من ظهورها حين الاهلال
ونجویز القتال فیہ دفاعا عن النفس الخ الخ - ٧ - نحریم
الخصام والسعي فی الارض بالفساد . وذنم من یفعل ذلك
من الناس ومدح من لا یفعله ویشتري نفسه ابتغاء مرضاة
الله . فلا یخاصم من یخاصمه ولا یؤذى من یؤذیه . وقد
حذر المسلمین أن یسلکوا مسالك من قبلهم من التنابد ونزک
الاتحاد والمسالمة . والا قضی علیهم کما قضی علی بنی اسرائیل
وقد اغتروا بما أنعم الله علیهم . وزینت لهم الحیاة الدنیا فتنابدوا
وتخاصموا . وسخر بعضهم من بعض . وكان هذا سببا فی
زوال نعمتهم . وذهاب دولتهم . وقد كان الناس قبل هذا
التفرق امة واحدة . لانه لا غنى لبعضهم عن بعض . وقد
ارسل الله النبیین مبشرین ومنذون وداعین الی الاتحاد
وانما حصل هذا الاختلاف بعدم من اتبعاعهم حیثما بنی

بعضهم على بعض . وآذى الذين ضلوا بعدهم من بقى متمسكا
 بهديهم . ولا يأنظر منهم الآن إلا ان يفعلوا معكم مثل الذى
 فعلوه مع من قبلكم . فقد مستهم البأساء والضراء منهم . وزلزلوا
 (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا
 أن نصر الله قريب) - ٨ - حكم النفقة من جهة صرفها
 وانها تصرف للوالدين والافريين الخ - ٩ - فرض القتال
 وانه يجوز فى الاشهر الحرم للضرورة - ١٠ - تحريم الخمر
 والميسر - ١١ - حكم النفقة من جهة انها تصرف من فضل
 الاموال - ١٢ - حل كفالة البتامة بالاصلاح ومخالطتهم
 فى المسأكل والمشرى - ١٣ - تحريم نكاح المشركات -
 - ١٤ - تحريم الوطء فى الحيض ونجوىز اتيان النساء فى
 قبلهن انى شاء الانسان - ١٥ - حكم الحلف بالله - ١٦ -
 حكم الايلاء وعدة لمولى عليها - ١٧ - عدة المطلقة بعد
 الدخول وجواز مراجعتها بلا محلل ان طلقت مرة او مرتين
 وعدم جوازها الا به أن طلقت ثلاثا وتحريم إمساكها
 ضرارا بأن يراجها فى آخر عدتها ليطلقها ثانياً وتستأنف
 عدة أخرى وتحريم منعها من الزوج بعد انقضاء عدتها

غيرة عليها. فإذا كان لها ولد فلها حق الرضاع والنفقة حولين
 كامين - ١٨ - عدة المتوفى عنها زوجها وتجويز التعريض
 بخطبتها في أثناء عدتها - ١٩ - نفى العدة للمطلة قبل الدخول
 واثبات المتعة لها إذا لم يسم لها مهر . فإن كان لها مهر فلها
 نصفه . والأقرب للتقوى أن تعطاه كله . وأن لا ينسى
 المطلق والمطلقة ما كان بينهما من فضل ومودة . حتى لا
 يكون الطلاق سببا للتقاطع والفرقة بين المسلمين . ولا
 شئ يذهب أثره غير المحافظة على الصلوات التي شرعت
 لجمع الكلمة وإزالة التقاطع . فيجب على المسلمين المحافظة
 عليها في كل حال . ولو عظم الخوف واشتد القتال . وإن
 يعلموا أن المتوفى عنها زوجها احق بتطبيب الخاطر من
 المطلقة قبل الدخول . فيحسن أن تمتع أيضا وأن ينفق عليها
 حولا في بيت زوجها . إلا إذا شامت الخروج من نفسها
 بل يحسن تمتيع المطلقات كاهن ولو كان طلاقهن بعد الدخول
 بهن . فذلك قوله تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا
 علي المتقين . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون)

وسائل نجاح الدعوة

الم تر الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم أحيوا ثم أن الله لذو فضل على الناس
ولا يكن أكثر الناس لا يشكرون

الآيات الى قوله تعالى

لله ما في السموات وما في الارض وأن تبدوا ما في أنفسكم
أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
والله على كل شيء قدير

(١)

وسائل نجاح الدعوة أمران . الجهاد بالنفس وبذل المال
وقبل أن يأمر المؤمنين بالجهاد بين لهم أن الذي يضمن النجاح
للمجاهدين شجاعة النفس . لا كثرة العدد . فنبههم إلى قصة
الذين خرجوا من ديارهم خوفاً من عدوهم وهم الوف كثيرة .
ولما قضى الله على ذلك الجيل الذي خرج من بلاده حينئذ مع
كثرتهم عاد خلفهم فاستردوا بلادهم مع قتلهم بشجاعتهم
ثم أمر المؤمنين بالقتال ووعدهم عليه بالاجر وبسط
الرزق وهذا ينصرهم على أعدائهم كما نصر هؤلاء القوم على

اعدائهم بعد أن اخرجوهم من ديارهم فاجتمعوا على ان يذهبوا
 ثم بين أن هؤلاء القوم كانوا من بنى اسرائيل اخرجهم
 الفلسطينيون من ديارهم فطلبوا من نبيهم أن يولى عليهم
 ملكا يحاربون تحت رايته اعداءهم فنصب لهم طالوت ملكا
 وذهب بهم الى قتال اعدائهم فغلبوهم مع قاتلهم وقتل داود
 وكان فلما يرى الغنم (جالوت) جبار الفلسطينين فجازه
 الله على ذلك بالملك والنبوة وعلمه مما يشاء الخ الخ

ثم ذكر أن هذه القصة ما كان النبي ليعرفها وهو أمي
 لو لم يكن من المرسلين الذين بعثهم الله للناس وفضل بعضهم
 على بعض وأيدهم بمختلف المعجزات ولو شاء الله لهدى
 أقوامهم من بعدهم فآمنوا بهذا النبي الذي جاءهم بالآيات
 البينات من هذه القصة وغيرها ولكنهم اختلفوا (فمنهم من
 آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل
 ما يريد) (٢)

ثم تكلم بعد هذا على الجهاد بالمال فأمرهم بالاتفاق مما
 رزق الله من قبل أن يأتهم يوم لا ينفعهم فيه خلة ولا شفاع
 فأن الله هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ولا شريك

له ولا شفيع (وسع كرسيه للسموات والارض ولا يؤوده
حفظهما وهو العلي العظيم) (٣)

ثم بين أن الغاية من الجهاد ليست اكرام للناس على
الدخول في الدين . وانما هو للدفاع عن النفس . فأن الايمان
بتوفيق الله يخرج به المؤمن من الظلمات الى النور . ومن لا
يريد ايمانه لا ينفع فيه . كيف ولا أكرام . فهذا عمرو غلبت
عليه الشقوة فلم تقدمه حجة ابراهيم التي بهت بها . وهذا
الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها . اراد الله هدايته
فاهتدي بالآية التي اراه أياها . وهذا ابراهيم (قال رب
ارني كيف تحيي الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قل) قال اخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جويل
منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سميا واعلم ان الله عزيز حكيم

(٤)

ثم تكلم على احكام الجهاد بالمال وأولها أنه يجب أن
يكون في سبيل الله وابتغاء مرضاته . ليضاعفه له في الدنيا
ويدخر به أجرا عند ربه في الآخرة . اما الذي ينفق ماله
للمن والأذى خير منه قول معروف ورد جميل لانه لا فائدة

فيه . ومثله كمثل صفوان عليه تراب اصابه مطر فتركه صليدا
أما الذي ينفق ابتغاء مرضاة الله فهو كجنة بريرة اصابها مطر
فانت أكلها ضامفين . وأنه لا يابق بما قل أن يبطل صدقاته
بالمزح كما لا يود أن تكون له جنة فيها من كل الثمرات فيصيبها
أعصار فيه نار فيحرقها

وثانيها أنه يجب أن ينفق الإنسان من أحسن ما عنده
ولا يسمع للشيطان الذي يحسن له الاتفاق من الخيـث
ويخوفه من الفقر . وأنه لا يبلغ في الاتفاق هذه المنزلة منزلة
إيتار الغير بأطيب الكسب إلا من يكون قد بلغ درجة
الحكمة . ومن نال هذه الدرجة فقد أوتي خيرا كثيرا

وثالثها أن الله يعلم ما ينفقه العبد في السر والعلان . وأن
إخفاء الصدقة أحسن من إعلانها . وأنه لا يؤثر إخفاء الصدقة
إلا القليل من الناس الذي أراد الله هدايته . وعلم أنه يكتسب
من صدقته عند الله أكثر مما يكتسبه العبد منه . وأن الصدقة
الحقيقية ما تكون لوجه الله لا ليتحدث بها الناس

وزابعها أن أحق الناس به الفقراء (الذين احصروا
في سبيل الله لا يستطيعون خربا في الأرض بحسبهم الجاهل

غنياء من التعفف (الآية (٥)

ثم استأنف الكلام في فضل الاتفاق في سبيل الله سرا وعلانية ليبين فضله على الربا الذي كانوا يتعاملون به وما كان يليق ان يتركهم يتعاملون بالربا بعد أن امرهم بالاتفاق . حرم الربا وبين انه ليس مثل البيع . وهدد من يتعامل به بالنار في الآخرة ويعاقب ماله في الدنيا . ووعد الذين يتركونه بعظيم الاجر . وامر من كان يتعامل به أن يترك ما بقي له منه ويقتصر على رأس ماله . وان يعمل المعسر من غرمائه الى أن يزول عسره . ثم حذرهم أن عادوا الى الربا من يوم يرجعون فيه الى الله (ثم توفى كل نفس ما سببت وهم لا يظلمون)

(٦) ك

ثم ذكر حكم القرض بعد حكم الاتفاق والربا استيفاء للاقسام وتعميلا لكلام . لان المال أن يذل للغير لا يسترد فهو الاتفاق . وأن يذل له يسترد فأن كان في مقابلة نفع فهو الربا . والا فهو القرض

فبين أنه يطلب كتابة الدين . والأشهاد عليه . فأن لم يكن كاتب قره ان مقبوضة . ومن طلب للشهادة فلا يكتبها

وليعلم ان الله سيحاسبنا على شهادتنا (فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء والله على كل شئ قدير)

الخاتمة

آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون — الآية
ألى آخر السورة

دعا بنى اسرائيل الى الايمان بما انزل الله فأعرضوا .
فأعرض عنهم وقال يكفيننا أن يصدق به الرسول وأتباعه
ثم بين تواضعهم في ايمانهم ليظهر فضلهم على بنى اسرائيل
واستكبارهم في كفرهم . فهم مع ما نالهم من الفضل بأيمانهم
يقولون (لا يكاف الله نفسا الا وسمها لها ما اكتسبت وعليها
ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ربنا ولا
تحمل علينا اصر الكا حمله على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا
مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين)

سورة آل عمران

سميت تلك السورة بذلك لذكر قصة آل عمران فيها .
ومن يقرأ هذه السورة جملة يجد أنها نزلت وقد كثرت المسلمون
وأقبلت الدنيا عليهم . واصبحوا لا يرهبون اعداءهم من
اليهود والنصارى . فاختلطوا بهم واتخذوا منهم اولياء وبطانة
وامتدت أعينهم إلى ما عندهم من اموال وفيرة . وقناطر مقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة . فأخذوا منهم واعطوا
وعاملوهم بالرأى وتعاملوا به . واحبوا المال حبا جعلهم يقاتلون
للمشركين حبا فيه . ويخالفون امر الرسول كما حصل في غزوة
أحد لأجل الحصول عليه . وما كان أعداءهم من اليهود
والنصارى يخلصون في مودتهم وإنما أرادوا الوصول الى
التأثير عليهم في دينهم بواسطة ما فيه من التشابه وغيره وكان
لهذا نتيجة سيئة ظهرت أثرها في غزوة أحد . أذ هزم المسلمون
فيها شر هزيمة لأول مرة . واصبحوا يرون لانفسهم رأيا
مع رسول الله . فقد رأى ان يقاتل المشركين في المدينة فرأوا
اغترارا بكثرتهم أن يقاتلوه في أحد . وامر الرماة ان لا

يبرحوا امكانهم فبرحوه الى جمع المال وكان ما كان مما قدر
الله . فنزلت سورة آل عمران لدفع الشبه التي حاول النصارى
واليهود ان يؤثروا بها في نفوس المسلمين . ولتحقيق ما أحبوهم
له من متاع الحياة . ولتحذيرهم من التودد اليهم وبيان الاضرار
التي طادت عليهم من الاغترار بهم . وينحصر ذلك في مقدمة
ومقصد بن وخاتمة

فالمقدمة في تمهيد الاصول التي تندفع بها شبههم . وتحقير
ما عندهم من اسباب الفنى والمظنة التي يخفون من زوالها
اذا أسلموا بجانب ما انعم الله به على المسلمين من دينه الحنيف
واعده لهم من السعادة الآخرة . والمقصد الاول في دفع تلك
للشبه . والمقصد الثانى فى تحذير المسلمين من التودد اليهم
وبيان سوء اثره فيهم . والخاتمة فيما يجب ان يعنى به المسلمون
بدل الاغترار بمتاع الحياة . من النظر فى ما كرت السموات
والارض . وتكميل النفس بالعالم . الايمان . لقتال السعادة الابدية
بدل ذلك المتاع القليل . هذا وقد عني هذا أمر المصداق ودفع
شبههم وأبطال عقائدهم اكثر من اليهود . بعكس سورة
البقرة . فلهذا ذكرت هذه السورة بعدها

المقدمة

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
الآيات الى قوله تعالى

الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار

مهدي للمقاصد الآتية في هذه السورة بأمور أولها أن
الله واحد حي قيوم — ثانيها أن الله كما أنزل القرآن والتوراة
والإنجيل انتهدي بها . خالق لنا العقل (الفرقان) لنتفرق به
بين الحق والباطل . ونندع التعمصب الذي يعصى الذين يكفرون
بآيات الله فلا يستعملون عقولهم ليتهتدوا بها — ثالثها أن
الله عالم بكل شيء في الأرض والسماء . ويصورنا في الأرحام
كيف يشاء . بواسطة ماء الأب ومن غير واسطته — رابعها
أن القرآن فيه محكم ومتشابه ومن الواجب أرجاع المتشابه
إلى المحكم . ولكن الذين أعماههم الغرور بكثرة المال والولد
يتبعون المتشابه ليفتنوا المساكين . وهي لا تغني عنهم من
الله شيئا كما لم تغن عن آل فرعون والذين من قبلهم أموالهم

وكما لم تغن عن كفار قريش في غزوة بدر كثرتهم وكانت
فئتهم ضعف فئة المسلمين . على أنها لا تذكر بجانب ما اعمده
الله في الآخرة للمسلمين (الذين يقولون ربنا اننا آمننا فاغفر
لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار)

دفع الشبه

شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وألوا العلم قائما
بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
الآيات الى قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب
ردوكم بعد أيمانكم كافرين

(١)

قالت النصارى أن القرآن نص على أن المسيح روح من
الله . وأنه ولد من غير أب . وهذا دليل على ألوهيته . فرد
عليهم بأن الله واحد يشابه الله الملائكة وأولى العلم
فالذين عند الله هو الاسلام لله وحده وما خالفه أهل الكتاب

ألا وهم يعلمون أنه الدين الحق . فأن كانوا طلاب حق لا رواد
 شبهه فليرجعوا إلى ذلك الدين ليهتموا . والا فاعليك الاالبلاغ
 والله بصير بهم وبما كانوا يأتون من قتل الانبياء ومن يأمر
 بالفسط من الناس فيشرع بعذاب اليم . وبحبوط اعمالهم في
 الدنيا والاخرة . وكيف لا نجازيهم بذلك وقد دعوتهم إلى
 كتاب الله فأعرضوا . ولم يخافوا من اعراضهم عنك اغترارا
 بما يفترون من أن النار ان تمسهم الاياما معدودة . - يعرفون
 عاقبة غرورهم بأنفسهم وبأنهم ابناء الله واحبائه يوم توفى
 كل نفس ما كسبت . ونجازى بما عملت . فليدعوا ذلك الغرور
 فأن الملك لله وحده يعز من يشاء من المؤمنين . ويذل من
 يشاء من أولئك الذين قالوا أن النار ان تمسهم الاياما معدودات
 وليعلم المؤمنون ذلك فلا يعزون بغيره من أعدائه
 ومن يفعل ذلك فليس من الثقة بالله في شيء . وليعلموا أن
 الله يعلم ما يخفونه من ذلك وما يظهرونه . وأنه لا يجتمع حب
 هؤلاء مع حب الله ورسوله . فليحبوا الله وحده بحبهم .
 وأن تولى المنافقون واستمروا على موالاهم (فأن الله لا يحب
 الكافرين)

ثم أخذ يفصل لهم أمر عيسى . وأنه من بيت اصفاه
الله من عهد آدم الى نوح الى ابراهيم الى عمران والد مريم
عليها السلام . ما منهم الابن اوتى (ذرية بعضها من بعض)
فدستحيل ان يشذ عنهم عيسى ويدعى لنفسه الألوهية . ثم
ذكر ولادة أمه وفضل الله عليها وتربية زكريا لها لبشير الى
أن مثلها يستحيل ان يأتى بعيسى من سفاح كما تزعم اليهود
وقد بلغ من أمرها أن زكريا تمنى ان يكون له ولد مثلها
فرزقه الله يحيى في حين أن امرأته كانت عاقرا . وفي حين
انه كان قد بلغ من السكبر عتيا . فهي ولادة عجيبة أيضا
كولادة عيسى من غير أب . ولهذا ذكرها هنا . معها تخفيفا
لغرابتها . وتقريبا لها من العقول

ثم ذكر ولادة عيسى أنى أن صار رسولا يخلق من الطين
كهية الطير ويبرئ الاله والابرص ويحيى الموتى بأذن الله
وداعيا الى عبادة الله لا الى عبادته الى أن وفاه الله ورفعته اليه
ثم قال عيسى في ولادته من غير أب . كمثل آدم في خلقه
من تراب . كل منهما لا يدل على أن الولود الله أو ابن الله

ثم ذكر أن هذا هو القصص الحق . وأن الواجب
عليهم بعد هذا أن يجتمعوا معنا على كلمة سواء بيننا وبينهم
(الانبياء الا الله ولا تشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)
(٣)

وقالت اليهود والنصارى للمسلمين الذين يدعون أنهم
على ملة ابراهيم أن ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا . وهذه
هى الشبهة الثانية فردها عليهم وبين أنهم يجهلون دين ابراهيم
كل الجمل . فمعجيب أن يحاجوا فيه كما يحاجون فى دين موسى
وعيسى الذى يعلمونه نوعا ما من العلم . فما كانت ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا . وان أولى الناس به الذين اتبعوه وهذا
النبي والذين آمنوا به . وما يريد اهل الكتاب الا أن يضلوم
عن ملته . وما يضلون الا انفسهم اذ يكتُمون ما عندهم
من الآيات على أن الله سيبعث نبيا من ولد اسماعيل على
ملة ابراهيم (ويلبسون الحق بالباطل ويكتُمون الحق وهم
يعلمون) (٤)

وكان من أهل الكتاب من يستعمل الحيلة والنش فى

القاء الشبه في قلوب المسلمين فيؤمنون بالنبي ليكفروا به
 فيؤمنوا المسلمين انه لو كان على حق ما رجعوا عنه . وقبل
 أن يفعلوا هذا يأخذون على أنفسهم اليهود أن يرجعوا إذا
 آمنوا ولا يؤمنوا الا لمن تبع دينهم فيبين للمسلمين أنهم يفعلون
 هذا كراهة أن يؤتى غيرهم من الدين مثل ما أوتوا . اذ
 يرون أنهم شعب الله الخاص . فيستحلون أن يكيدوا للمسلمين
 بهذا كما يستحل بعضهم اكل أموالهم ويقولون ليس علينا
 في الاميين سبيل . وكما يستحلون أن يلجوا السننهم بكتابتهم
 ويحرفوه عن معناه ليفتنوهم عن دينهم

ثم ذكراته لا يمكن أن يتبع النبي دينهم ليؤمنوا به
 وقد آتاه الله القرآن والحكم والنبوة والدين الصحيح . افتركه
 الى دين يأمر بعبادة غير الله . فيقول للناس كونوا عبادا الى
 من دون الله . ويأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا كما
 تفعل اليهود في عزير والنصارى في عيسى والروح القدس
 هذا بعد أن اسلم الناس لله على يديه . وبعد ان أخذ الله الميثاق
 على النبيين واتباعهم أن يؤمنوا بدينه ويتبعوه . أفيتبعهم
 وهم المأمورون باتباعه . أو يبعون غير دين الاسلام دين

الفطرة) (وإله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها)
دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وموسى
وعيسى وسائر النبيين . ولكن كيف يهتدي الله إليه قوما
كفروا بعد إيمانهم بأولئك الأنبياء فغيروا في دينهم وبدلوا
وشهدوا أن المرسل حق ولكن التعصب يعمدهم عنه .
أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله إلا من تاب منهم ولم
يصر على الكفر . إذا جعل التوبة منه بعيدة . فهذا جزاؤه
أن يخلد في النار ولو اتفق ملأ الأرض ذهباً صدقة في قومه
ولا ينجيه من ذلك قدام في الآخرة ولو كان قدر هذا الذي
تصدق به . فأن لا طريق إلى الجنة إلا الإيمان بالله وانفاق
الإنسان مما يحب في سبيله (إن تنالوا البر - الجنة - حتى
تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم)

(٥)

وقالوا نضالنا للمسلمين لو كنتم على ملّة إبراهيم والنبيين
من بعده ما حلّم ما كان محرّماً عليهم كالحم الأيل . وهذه
هي الشبهة الخامسة

فرد عليهم بأن كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل .

وأنما حرم ما حرم عليهم بظلمهم . والتوراة شاهدة على ذلك
فأتوا بها لنظلمكم عليه . والا (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا
وما كان من المشركين) (٦)

وقالوا كذلك لو كنتم على ملة أولئك الانبياء لاتخذتم
بيت المقدس الذي انفقوا على تعظيمه قبلة لكم . ولم تصلوا
الى الكعبة بدله . وهذه هي الشبهة السادسة

فرد عليهم بأن الكعبة من بناء ابراهيم واسماعيل وفيها
كان يقوم ابراهيم لعبادة الله . اما بيت المقدس فمن بناء
سليمان بن داود . فالكعبة أقدم منه وأشرف . وأنهم ليعرفون
ذلك بما عندهم من الآيات التي يكتمونها . ويصدون بذلك
(عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله
بغافل عما تعملون)

المقصد الثاني

يأيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا
الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
الآيات الى قوله تعالى

ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير

(١)

ابتدأ بتحذير المؤمنين من اهل الكتاب والاستماع
 لشبههم . وأمرهم بالنقوى والاعتصام بحبل الله وترك التفرق
 وان يكونوا أمة تدعوا إلى الخير وتأمر بالمعروف . فأنهم
 ما كانوا خير أمة أخرجت للناس إلا بهذه الخصلة العظيمة
 خصلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولوا نصف أهل
 الكتاب لعرفوا ذلك الفضل لهم وآمنوا مثلهم . ولكنهم
 انقسموا قسمين . كفرون وهم الاكثرون . وهؤلاء لا شغل
 لهم إلا إيذاء المسلمين باسائهم . ومحاولة تشكيكهم في دينهم
 وأن يقاتلواهم يولواهم الادبار ثم لا ينصرون . فقد ضربت عليهم
 الذلة والمسكنة بما كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء
 بغير حق وبما كانوا يعتدون

ومؤمنون وهم طائفة قليلة آثرت الاستقامة وأن
 تكون ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فلن يضيع
 عليها ما قدمته من خير . بخلاف تلك الطائفة الفاسقة . فلن
 تنفى عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئاً . ولا
 ينفعهم ما ينفقونه منها في هذه الحياة على انفسهم . ويكون

(كمثل ربح فيها صرا أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته
وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون)

(٢)

ثم حذرهم أن يتخذوا منهم بطانة يظلمونهم على أسرارهم
وبين أنهم لا يخلصون لهم ولا يحبونهم كما يحبونهم . بل ان
تمسهم حسنة تسؤهم وأن تصبهم سيئة يفرحوا بها . ككفر حوا
بما أصابهم يوم أحد أذ غدا النبي يموئتهم مقاعد للقتال . واذ
همت طائفتان منهم ان تغشاه من شدة ما نزل بهم . وبتأثير
ما بثوه فيهم من عوامل التشبيط حين الجلوس اليهم

ثم ذكر كيف نصرهم يوم بدر لأول هجرتهم وهم أذلة
ليس لهم من هؤلاء الأعداء ولى ولا نصير . وقد جعل الله
هذا النصر بشرى لهم . وليقطع طرفا من الكافرين . ويتوب
على بعض ويعذب بعضا ظالمين (والله ما فى السموات وما فى
الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم)

(٣)

ثم أراد أن يقلع من نفوسهم حب المال الذي أثر فى
هزيمتهم . فحرم عليهم الربا الذى أصبحوا يأكلونه كما تأكله

اليهود الذين اختلطوا بهم اضغاثا مضاعفة . فصاروا مثلهم
 في حرصهم على جمع المال حرصا جعل الرماة في تلك الغزوة
 يتركون موافقهم إلى الغنيمة بعد أن أمروا أن لا يفارقوها
 ثم أمرهم أن يطيعوا الرسول ولا يعودوا إلى عصيانه . وأن
 يستغفروا ربهم مما حصل منهم . وأن ينفقوا من مالهم في
 سبيل الله ويتركوا الحرص عليه . وأن يكظموا غيظهم
 ويعفوا عن أساء منهم في تلك الغزوة . وأن يعتبروا بسنة
 الله فيمن سبقهم من الأمم الطائفة والمعاصية ليحذروا من
 مثل ما وقعوا فيه . وأن لا يحزنوا مما حصل لهم لأن الله
 أراد أن يمتحنهم به ويظهر المؤمنين الحقيقيين من المنافقين .
 وليكون لهم قدوة بمن قاتل مع الأنبياء السابقين من الربيين
 الذين لم يهنوا لما أصابهم في سبيل الله (فأثابهم الله ثواب
 الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين)

(٤)

ثم نهض لرد كيد المنافقين الذين أراد أن يستغلوا هذه الهزيمة
 في فض المؤمنين من حول النبي فرد لهم شبهتين أولاهما أنهم
 قالوا للمؤمنين لقد وعدكم النصر ولو كان صادقا ما شرمتم .

فرد عليهم بأن الله قد صدقهم وعده وانصرت إلى أن خالفوا
 أمر النبي فكذب عنهم نصره وتغلب عليهم أعداؤهم فلولوا
 منهزمين إلى أن ثبتهم الله وانزل عليهم آمنة ناعسا الخ
 الثانية أنهم قالوا للمؤمنين قد اشرنا عليكم ان لا تخرجوا
 للقتال نخالفكم ولو لم تخرجوا ما قتلتهم ههنا وبقيتم آمنين في
 بيوتكم فرد عليهم بأن الاجل واحد والله هو الذي يحيى
 ويميت وبأن من يقتل في سبيل الله له من الثواب خير مما
 يجمعون (ولئن كنتم اوفقتم لآلئ الله تحشرون)

« ٥ »

ثم عاد الى النبي والمؤمنين وقد خالفوا رأيه في عدم
 الخروج الى المشركين وقتالهم في المدينة . وقال بعضهم (الرماة)
 انما بادرننا إلى الغنيمة لانا خفنا أن يقول النبي من اخذ شيئا
 فهو له ولا يقسم بيننا كما لم يقسم يوم بدر . وقال بعض آخر
 كيف تغلب ونحن مسلمون ظاننا أن المسلم لا يغلب . فامرهم
 أن يعفو عنهم ولا ينقطع بسبب هذا عن مشاورتهم . وبين
 لهم أن النبي ما كان ليأخذ الغنيمة لنفسه ولا يقسم بينهم مثل
 هذا يكون غلولا يقتز به الانبياء . وخصوصا هذا النبي

الذي من الله على المؤمنين به فلا يمكن أن يحور فيهم . ثم
بين لهم أن الهزائم يوم أحد بعد انتصارهم في بدر وغيرها
أنما كان منهم . وقد اراده الله ليربهم ويعلمهم الاعتماد على
النفس وعدم الاغترار بمن لا يخلص لهم من المنافقين الذين
كانوا يعتمدون عليهم . فلما طلبوهم للقتال خذلوهم . ولما قتل
من قتل منهم شمتوا بهم وقالوا « لو أطاعونا ما قتلوا قل
فادروا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين »

« ٦ »

ثم بعد ان فرغ من درس تلك الهزيمة ولوم الذين تسببوا
فيها . أخذ يمدح الذين ثبتوا مع النبي ولم يهزموا . فبين أنهم
أرضوا الشهداء الذين هم احياء في قبورهم فرحين بما آتاهم الله
من فضله وبإطفائه بأخوانهم . أذلم يكن المشركين منهم بل
أبقى فيهم قوة بعد الهزيمة . أمكنهم بها أن يذهبوا مع النبي
إلى حراء الأسد حينما بلغه ان المشركين تجمعوا لالتفاف
القتال ثانيا . فلما علموا بذلك خافوا وهضوا إلى مكة . أما
المسلمون فساروا إليهم ولم يعبأوا بمن خوفهم . منهم « أنما
ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم

(٧)

مؤمنين »

ثم أخذ يسلي النبي وينهاه أن يحزن من مسارعة المنافقين
إلى الكفر وشماتة اليهود الذين كانوا يظهرون المودة للمسلمين
أذ ظنوا أنهم لا يقوم لهم بعد تلك الهزيمة قاعة . فأكد له أنهم
لن يضرهم بعدها . وبين أنه إنما على أعدائهم ليطفوا ثم
يذيقهم عذاب مهينا . كما يتركهم يغفلون بما آتاهم الله من فضله
عن أنفاقه في سبيله ليطوفوا به يوم القيامة . وأنه يسمع ما
يقولونه ثم كما حين يؤمرون بالانفاق (أن الله فقير ونحن
اغنيا) فسيكتبه لهم ويضيفه إلى سيئاتهم القديمة مع انبيائهم
وقتلهم لهم . ومع هذا النبي الذي يقولون له حين يدعوهم
إلى الإيمان أن الله عهد إلينا أن لا تؤمن لرسوله حتى يأتينا
بقربان النخ النخ

ثم ذكر أن المسلمين سيستمعون منهم أذى كثيرا فمجب
أن يقابلوه بالصبر ليكونوا من أهل العزم . وأن يذكروا
أنهم أخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا فنبذوه وراء ظهورهم
فلا يصح أن ينتظروا منهم غير ذلك . ولقد اشتروا بنقض
هذا الميثاق ثمنا قليلا . وفرحوا بما آتاهم من نقضه مع أنه لا

بِمَكْن أَنْ يَفْوتَهُمُ الْعَذَابُ عَلَيْهِ « وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

الخاتمة

أَنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَايَاتٌ لِّأُولِي الْبَابِ الْآيَاتُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ

لَمَّا كَانَ بِنَاءُ السُّورَةِ عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ مَغْتَرُونَ بِمَا عِنْدَهُمْ
مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ . وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَخَذُوا بِدَاخِلِهِمْ هَذَا الْغُرُورَ . خَتَمَهَا
بِأَنَّ هُنَاكَ مَا هُوَ أَهَمُّ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ . وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَسْتَفِيدُهُ
الْإِنْسَانُ مِنَ النَّظَرِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَنْظُرُ
الْإِنْسَانُ فِي هَذَا الْخَلْقِ الْعَجِيبِ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَا خَلَقَهُ بِاطِّلَا . فَيَسْعَدُ
بِالْإِيمَانِ الَّذِي يَنْجِيهِ مِنَ عَذَابِ النَّارِ . وَيَسْتَجِيبُ لِمَنْ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ
وَلَا يَتَكَبَّرُ أَوْ يَتَعَنَّتْ عَلَيْهِ . فَيَجَازِيهِ اللَّهُ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ حَسَنِ
الثَّوَابِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ لِمَتَاعِ الْقَلِيلِ الَّذِي يَغْتَرُّ بِهِ الْجَاهِلُونَ
ثُمَّ يَكُونُ مَا وَاهُمُ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمِهَادُ
ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ نَجَاهُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْغُرُورِ

نُفِثَ لِقَاءُ اللَّهِ وَأَمِنَ بِالْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ الَّتِي أَنْزَلَتْ إِلَيْهِ . فَمِنْ هَذَا لَا يَحْرَمُهُ
 اللَّهُ أَبَاحًا مِنَ الْأَجْرِ . وَذَلِكَ كَالنَّجَاشِيِّ الَّذِي آمَنَ بِالنَّبِيِّ وَعَجَزَ
 عَنِ الْمُهْجَرَةِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ لِيَعْرِفَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ بِدَلَالَةِ الْإِيمَانِ
 مِنَ الْأَحْكَامِ

وَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ وَحْدَهُ لَا يَكْفِي فِي تَهْوِينِ أَمْرِ الدُّنْيَا عَلَى
 الْمُسْلِمِينَ بَلْ لَا بَدَ لَهُمْ أَنْ يَسْتَعِينُوا مَعَ هَذَا بِالْعَصْرِ أَمْرُهُمْ بِهِ
 فَقَالَ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا
 اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

سورة النساء

سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِذَلِكَ لِأَنَّ مَعْظَمَ مَا ذَكَرَ فِيهَا مِنَ
 الْأَحْكَامِ يَتَعَلَّقُ بِالنِّسَاءِ . وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بَعْدَ سُورَةِ
 الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ اللَّتَيْنِ كَانَتْ فِيهِمَا بِالْدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ
 وَتَذَكَرَ فِيهِمَا بِطَرِيقِ الْعَرَضِ الْآدَابُ وَالْأَحْكَامُ . بِخِلَافِ هَذِهِ
 السُّورَةِ الَّتِي يَتَعَلَّقُ فِيهَا بِشَرْحِ الْأَحْكَامِ وَيَذَكَرُ فِيهَا بِطَرِيقِ
 الْعَرَضِ مَا كَانَ يَتَعَلَّقُ بِهِ فِي هَذَيْنِ السُّورَتَيْنِ مَا يَتَعَلَّقُ بِدَعْوَةِ
 الْمُنَافِقِينَ وَاهْلِ الْكِتَابِ

وقد افتتحت هذه السورة بتذكير الناس بأنهم من أصل واحد . ليكون هذا تهيدا وبراعة مطلع لما يذكرونها من أحكام الفرائد بالنسب والمصاهرة . وما يتعلق بذلك من أحكام النكاح والأرث . ولما طال الكلام في آخرها في ذكر حال المنافقين وأهل الكتاب ولم يكن هذا من مقاصد هذه السورة . عاد نختمها بذكر حكم الكلاله في آية كآنى افتتحت بها لئلا تخرج السورة عن المقصود منها : وليعلم أن ما ذكر من ذلك لم يكن مقصودا بالذات بل كان لمناسبة . فيكون السياق من أول السورة الى آخرها في ذكر الاحكام . ويلتئم بهذا البدء والختام

براعة المطلع

يأيتها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا

لما كان المتصود من السورة بيان الاحكام الواجبة وغيرها . ابتدأها بالامر التقوى التى هى امثال الاوامر واجتناب النواهى . ثم ذكر الناس بأنهم من أصل واحد . لان

معظم ما يذكر من تلك الأحكام في هذه السورة يتماق بالقراءة
والزوجية . ثم أعاد الأمر بالتقوى تأكيداً وتهيئاً للأمر
بصلة الأرحام الذي هو المقصود من معظم التشريع الموجود
في هذه السورة

الأحكام

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ أَنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا
الآيات إلى آخر السورة
أحكام اليتيم والسفاهة

أمر بأداء اليتامى أموالهم وحرم على الأولياء أكل شيء
منها . وقد كانوا يتزوجون اليتيمات طمعا في أموالهم ولا
يعطونهن من المهر مثل ما يعطون غيرهن فحذرهم من هذا .
وذكر لهم أنه لم يضيق عليهم في نكاح النساء حتى يقهروا
أنفسهم على نكاح اليتيمات . بل وسع لهم في الجمع بين الزوجات
إلى أربع . فعلى من يخاف عدم القسط في نكاح اليتيمة وطمع
نفسه في مالها ومهرها أن ينكح من يشاء من غيرها . من اللاتي
لهن حق التصرف في مهرهن . ويصح أخذ مهرهن إذا

طابت نفوسهن

ثم نهاهم أن يؤثروا السفهاء من يتامى وغيرهم أموالهم
ما داموا سفهاء . وأمرهم أن يطووها لهم إذا أنسوا منهم
رشداً (فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله
حسيباً)

احكام الارث

ذكر منها هنا احكاماً أولها أن النساء يرثن كما يرث
الرجال . وكانوا في الجاهلية يحرمونهن من الميراث . لانهن لا
يحملن السلاح . ولا يكتسبن كما يكتسب الرجال . وثانيها أنه
إذا حضر قسمة التركة أو لو القربي من غير الورثة واليتامى
والمساكين فلا يليق أن يحرموا من شيء يطونه منها كما يليق
بالحالهم . ولو بصفة الهبة أو الهدية . وثالثها أن اليتامى يرثون
كما يرث الكبار . وكانوا في الجاهلية يحرمونهم من الميراث
لضعفهم كالنساء . مع أن من كان يفعل هذا مع اليتامى لا يرضى
أن يفعل غيره مثله . مع ذريته إذا تركهم ضعافاً . قالوا يجب أن
يتركوا ما يقولونه في حق ما بهم ويقولوا غيره قولاً سديداً .
ولا يأكلوا ما تركه لهم آباؤهم ظالماً وعدواناً

وبعد نمييد هذه الاصول بين نصيب كل وارث على ما هو معروف ومسطور . فخذ في ذلك حدودا أئذ من يتعدها « ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين »

حكم المساحقة واللواط

بين في حكم المساحقة أنه لا بد في أثباته من شهادة أربع به . فإذا شهدوا بحبس المساحقة صيانته لها حتى تموت أو تتوب وفي حكم اللواط أنه لا يذنب بالفعل والقول إلى أن يتوبا . ثم بين متى تقبل التوبة من هؤلاء ومن غيرهم . وأنها لا تقبل من الذين يعملون السيئات « حتى إذا حضر أحدهم الموت قال أني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً »

إبطال ارث النساء كرها

كان الرجل إذا مات في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله . فكان يعضلها حتى يتزوجها أو يزوجها من يشاء أو تقتدى نفسها بما أخذته من مودته . فأبطل ذلك وحرم عضل النساء من وارث أو زوج لا خدشي من مهورهن إلا أن يأتين بفاحشة معينة . وأوجب عشرتهن بالمعروف ثم بين أن المهور تدفع في

نظير استمتاع الرجل بالمرأة . لالتملك بها رقبتهما حتى تورث
أو تعضل من وارث أو زوج اتد اليهما ما أخذته . وكيف
تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذ منكم يثاقا غايظا)

تحريمات النكاح

عد منها امرأة الأب والامهات والبنات والاخوات
والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت والام من
الرضاع والاخت من الرضاع وأم الزوجة وبنت الزوجة
المدخول بها وأخت الزوجة ما دامت في العصمة وزوجة الغير
الا السبايا اذا ملكن ولهن ازواج . وأحل ما وراء ذلك بعقد
الزواج وحرم السفاح واتخاذ الأخدان . ثم امتن عليهم بنعمة
الزواج الذي هرسنة الانبياء وأصحهم من قبلهم . وبين أنه يريد
به أن يتوب عليهم من الزنا واتباع الشهوات (يريد الله ان
يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)

تحريم التعدي على المال والنفس

حرم أكل اموال الناس بالباطل . وأحل الكسب والتجارة
وحرم قتل النفس . وأرعد من يفعل ذلك بالعذاب الشديد . وقال
لمن يحذبه (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم

وندخلكم مدخلا كريما)

تحريم التحاسد

حرم التحاسد وأن يتمنوا ما فضل الله به بعضهم على بعض وأرشدهم إلى أن كلا من الرجال والنساء والاقرباء والضعاف يرزق بقدر عمله وكسبه . فالواجب ترك الحسد وطلب الفضل والرزق من الله بالتسبيح والكسب . ثم أشار إلى أن التفاضل بين العباد بالرزق إن لم يكن بكسب حادث فبكسب قديم قام به الوالدان والاقربون واخذ من اخذه منهم بطريق الارث وهو حق من الحقوق التي لا يصح انكارها ولا حسد احد عليها (ولا كل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شئ قديرا)

حق الرجل على المرأة

بين ان للرجل القوامة على المرأة بما فضله الله عليها في القوة والعقل . فان كانت سالحة فيها والافله حق تأديبها فان وقع شقاق بينهما حكم بينهما اثنان من اهلها واهله . ان يريد اصلاحها يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا »

حق الله والوالدين

بين ان حق الله أن يعبد وحده وان حق الوالدين
 الاحسان اليهما . وكذا الاقارب واليتامى والمساكين الصالحين .
 والاحسان يكون بالتواضع لهم وبذل المال لسد فاقاتهم . فلا
 يختال عليهم ولا يبخل . وإذا أنفق فليكن أنفاقه لوجه الله
 لا للرياء ثم انذر من يخالف ذلك يوم ما يود فيه «الذين كفروا
 وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله
 حديثا»

بعض احكام الصلاة

الصلاة حق من حقوق الله وقد ذكر من احكامها هنا
 انها لا تصح من سكران الصبح . وكان السبب في هذا أن بعضهم
 صلى وهو سكران فخرق في القرآن . وقرأه قبل يا أيها
 الكافرون اعبدوا ما تعبدون « فحرم عليهم هنا الصلاة في حال
 السكر . وأمروهم بالنظر في حال أهل الكتاب الذين اشتروا
 الضلالة بالهدى ليدكر لهم أن مثل ذلك التحريف الذي وقع
 من بعضهم وقع من اليهود قبلهم في كتبهم فأوقعهم في المصيان
 وحال بينهم وبين الايمان بالقرآن الذي نزل مصداقاً لما معهم من

الكتب قبل تحريفها . فلو لا ذلك التحريف لكان حالهم غير الحال التي وقعوا فيها بسببه

وقدمضى بسبب هذا على طريق الاستطراد في ذكر بعض احوالهم وقبائحهم . فذكر منها ما شاء . ثم اوعدهم الذين كفروا منهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ووعد الذين آمنوا « جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها أبدا لهم فيها ازواج مطهرة ويدخلهم ظللا ظليلا »
حق الراعي والرعية

ذكر ان حق الرعية على الراعي ان يرد الامانات الى أهلها ويحكم بينهم بالعدل . وان حق الراعي عليهم ان يطيعوه كما يطيعون الله والرسول ويرجعوا اليه عند التنازع في أمورهم . ويسكون الحكم بينهم عند التنازع كتاب الله وسنة الرسول . ومن لا يرضى بالتحاكم اليهما يكون من المنافقين الذين يزعمون أنهم يؤمنون بما انزل الله من الكتب والاحكام . ثم لا يرضون بالتحاكم اليها بل يتحاكمون الى الطاغوت الذي أمروا أن يكفروا به . فاذا أصابتهم مصيبة يرجعون الى النبي ويخلفون أنهم ما ارادوا بتحاكمهم الى غيره

الا احسانا وتوفيقا . والله يعلم أنهم يبطنون خلاف ما يظهرون .
 ولو أنهم صدقوا وندموا حقيقة على ما فعلوا لوجدوا الله توابا
 رحيمًا . أما هذا الخداع فلا يفهمهم ولا يدخلهم في عداد
 المؤمنين . واعلموا يفهمهم أن يحكموا الرسول في كل ما شجر
 بينهم . وترضى نفوسهم بما يقضى به في تنازعهم . ولو أنهم
 فعلوا ذلك وهو سهل عليهم اذ لم يكلفوا بقتل نفوسهم ولا
 بغيره من التكاليف الثقيلة التي كلف بها غيرهم لا تأثم الله
 اجرا عظيما . وأدخلهم جنته مع الذين انعم عليهم من النبيين
 والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا
 « ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما »

فرض القتال واحكامه

أمرهم أن يأخذوا حذرهم قبل ان ينفروا إلى القتال
 من الاعداء الداخليين (المنافقين) الذين يشبطون عن القتال ولا
 يقاتلون . فأني اصاب المؤمنين مصيبة فرحوا . وأن اصابهم
 نصر قالوا ياليتنا كنا معهم فنفوز فوزا عظيما
 ثم ذكر ما يرغبهم في القتال من الأجر العظيم في الآخرة
 وتخليص اخوانهم المستضعفين في مكة من أيدي ظالمهم .

وأنهم يقاتلون في سبيل الله واعدائهم يقاتلون في سبيل
الطاغوت فهم أولياء الشيطان ومن يتولى الشيطان كان ضعيفا
ثم حذرهم أن يكونوا كالمنافقين في أمور أربعة - أولها
خوف القتال . فأن الموت إذا جاء أجله فلا بد منه ولو كان
الإنسان في بروج مشيدة - ثانيها أنهم إذا قاتلوا فإن تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله . وأن تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك (يعنون النبي) مع أن الكل من عند الله . وما
النبي إلا رسول ونيس له من الأمر شيء (وارسلناك للناس
رسولا) فمن أطاعه فقد أطاع الله . ومن تولى عنه وتشام
به ونسب السيئة إليه فقد عصاه - ثالثها - عدم الإخلاص
في القتال وتنفيذ ما يطلب منهم فيه . فأنهم يظهرون الطاعة
في حضرة الرسول . فإذا خرجوا من عنده أضمرُوا خلافها
والله يعلم ما يضمرون ويظهر أحوالهم وخفائهم في كتابه
كما هي لا يختلف عنها في شيء . ولو تدبروا ذلك لعلموا أنه
من عند الله وأخلصوا في طاعتهم وصدقوا في إيمانهم -
رابعها - إذاعة أسرار الجيوش فإذا جاءهم أمر من الأمن
أو الخوف تسكرون الصلحة في كتابه وتفويضه إلى الله

والرسول أذاعوا به

وبعد أن حذرهم من هذا كله . ورغبهم في القتال بما
رغبهم فيه . أمر النبي أن يقاتل في سبيل الله لا يكلف إلا
نفسه وليس عليه إلا أن يحرضهم على القتال فيرغبهم فيه .
فإن اطاعوا فيها . وإلا فله ثواب تحريضهم عليه (من يشفع
شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة
يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقبلاً)

احكام القتال

ذكر منها هنا احكاما اولها أنه لا يجوز قتال المسلم من
الكفار . وهو الذي يحبى المسلمين ولا يعاديهم . فهذا جزاؤه
أن يحبى بأحسن من تحيته . ويكف عن قتاله . ثانياً اباحة
قتال المنافقين بعد تحريمه . لأنه لم يعد معنى لاحتمالهم . ولا
لاختلاف المسلمين في أمرهم . بعد أن صار حوهم بالعداوة
وأصبحوا لا يرجى لهم هداية . ولم يطلق تلك الاباحة اطلاقاً
بل قيدها بنوع من المنافقين دون أنواع أخرى اقتضى الأمر
تأجيل اباحة قتالهم - ثالثها - تحريم قتال المؤمن وقتله إلا أن
يكون خطأ بأن يقتله في الحرب من يظن أنه كافر . فيجيب

عليه الذية ولا يقتل به - رابعها - وجوب التثبت في الحرب حتى لا يقتل من يسلم فيها مع من يصر على الكفر . ويقال له أنك أسلمت خوفا من السيف - خامسها - أنه لا يجوز القعود عن القتال إلا لأولى الضرر - سادسها - وجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام . ويستثنى من هذا المستضعفون من الرجال والنساء والوالدان - سابعها - جواز قصر الصلاة للمجاهدين ونحوهم من المسافرين - ثامنها - جواز الصلاة بكيفية أخرى غير التي تجب في الأمن من كفيات صلاة الخوف المعروفة

ثم ختم الكلام في أحكام القتال بمثل ما بدأه به من ترغيب المؤمنين فيه فقال « ولا تهنؤا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما »

تحريم المحاربة

« ١ »

ذكر أنه يجب الحكم بين الناس بالحق لا فرق بين مسلم وغيره . وقد سرق طعمة بين أبيرق درعا ورمى بها بريثا من

اليهود وشهد بذلك قوم طعمة زورا عند النبي . فقال الى تبرئته
لما كان يغالب على المسلمين في ذلك العهد من الصدق والامانة
وعلى اليهود من الكذب والخيانة . فعانبه الله على مجادته عن
هؤلاء الخائنين المنافقين الذين يستخفون من الناس ولا
يستخفون من الله . ويحاولون تبرئة المذنب بشهادة الزور
في الحياة . فمن يبرئه من ذنبه يوم القيامة أمام الله . وقد كان
الاولى لهم أن يتوبوا ويستغفروا الله لذنبهم بدل أن يرموا
به ذلك البرئ » ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا
فقد احتمل بهتاننا واثما مبينا « (٢٥)

ثم أخذ يمتن على النبي بعد أن نجاه من الجور في الحكم
الذي أراد أن يوقعه فيه أولئك المنافقون . ويبين له انه لا خير
في كثير من نجواهم لانهم لا يأترون فيها الا على الشر ولا
يتوون فيها على فعل الخير . فلا يأترون بصدقة ولا معروف
ولا يصلحون بين الناس بل (١٥) يشاققون الرسول ويتبعون
سبيل المشركين . فيعبدون من دون الله أناثا كاللات والعزى

(١٥) أن طعمة لم يكذب بفتضح أمره حتي فر الى المشركين وارقد عن
الاسلام فكان هذا سببا فيما ذكره هنا في قبح الشرك وفضل الاسلام

ويتخذون الشيطان وليا فيضلهم ويغنيهم أن لا بعث ولا حساب
 ويأمرهم فيقةطعون آذان الانعام ليقدموها قربانا للأصنام
 وليض الامر بأمانيتهم ان لا بعث ولا حساب . ولا بأمانى اهل
 الكتاب الذين يزعمون انه ان يدخل الجنة الا من كان هودا او
 نصارى . بل من يعمل سوء يحز به في يوم الجزاء . ومن يعمل
 صالحا ويؤمن بدين الله الصحيح يدخله الجنة . ويجازه على
 كل خير عمله . ومن احسن ممن اسلم وجهه الى الله وهو محسن
 واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا . والله ما فى
 السموات وما فى الارض وكان الله بكل شئ محيطا .

بعض احكام النساء

ذكر فى اوائل هذه السورة احكاما فى يتامى النساء اللاتى
 كانوا ينكحونهن طمعا فى اموالهن . وفى اليتامى الذين كانوا
 يحرمونهن من الميراث . وفى الزوجات والعادل معهن عند
 كراهتهن وللرغبة فى تزوج غيرهن . وكانت تلك العادات
 مستحكمة فى نفوس العرب فى جاهليتهم فسألوه تخفيفا فى
 تلك الاحكام . وكان هذا منهم بعد مضى زمن نزل فيه ما نزل
 من الاحكام التى ذكرت فى هذه السورة بعد تلك الاحكام التى

سألوه تخفيفها. فبين لهم أن الأول والثاني لا تغيير فيهما. وأن
 الصالح بين المرأة والزوج عند خوفها من أعراضه وزوجه
 بأخرى على أن تسقط حقه في القسم وغيره وتبقى عنده خير
 من التسريح والفراق وأن كان بأحسن. وإن العدل الكامل
 الذي يشمل الميل القلبي بين الزوجات غير مستطاع. وإنما
 الواجب العدل بينهما في الأمور الاختيارية من قسم وغيره.
 فأن لم ترض الزوجة بالتنازل عن حقه. ولم يمكن الزوج أن
 يستعمل العدل المستطاع معها فليتفرقا بمن الله كلا من سمته.
 لأن العدل أمره عظيم وصى الله به الذين أوتوا الكتاب كما
 وصاكم به. فأن لم تعدلوا ذهب الله بكم وأثى بمن يعدل غيركم
 فأياكم أن تمسكوا الزوجة مع ظلمها طمعاً في مالها. فتواب
 الله خير من الدنيا وما فيها (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله
 ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً)

تحريم شهادة الزور

ذكر هنا أن القيام بالعدل واجب على الرعية كما ذكر فيما
 تقدم أنه واجب على الراعي. فحرم عليهم شهادة الزور.
 وحذرهم أن يحملهم عليها قربي أو خوف من غني أو رافة على

فقير (أن يكن غنيا أو فقيرا فانه أولى بهما فلا تتبعوا الهوى
أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فأن الله كان بما تعملون
خبيرا)

احكام اصولية

ذكر منها هنا - الايمان بالله - والايمان بالرسول -
والايمان بالكتب المنزلة - والايمان بالملائكة - والايمان
باليوم الآخر

ثم ذكر أن الناس من جهة الاعتقاد بها على قسمين أولهما
المنافقون الذين لا يؤمنون بها أيمانا يقينيا . ولا يثبتون على
حال من ايمان او كفر . وقد ذكر من احوالهم في ذنباتهم ما
شاء . ونهى المؤمنين عن الاختلاط بهم وموالاتهم وموالاة
من يوالونهم من الكافرين . ثم اشار إلى أنه لا يحب افشاء العيوب
ولا الجهر بالسوء وإنما افشى عيوب المنافقين لان المصلحة في
افشائهم ولكثرة بغيهم وظلمهم . ولهذا استثنى من ذلك
افشاء عيوب الظالمين فأجازها للمؤمنين (أن تبدوا خيرا أو
تخفوه أو تعفوا عن سوء فأن الله كان عفوا قديرا)

القسم الثاني اهل كتاب وهم أما يهود يكفرون بالله

ويؤمنون ببعض الرسل والكتب دون بعض . فيكفرون
 بالتبى ويسألونه أن ينزل عليهم كتابا من السماء ليؤمنوا .
 وليس هذا منهم الا تعنتا كالتعنت الذى كانوا يأثونه مع موسى
 اذ يسألونه ان يرهم الله جهرة . وكتعنهم على عيسى وزعمهم
 أنهم قتلوه وصلبوه . وقد حرم الله عليهم كثيرا من الطيبات
 عقابا لهم على هذا وعلى اخذهم الربا وأكلهم أموال الناس
 بالباطل وأمد لهم عذابا مهينا . ثم ذكر ان العلماء الراسخين
 منهم يطمون أنه النبي المبشر به فى كتبهم . وأنه يوحى اليه
 كما أوحى الى نوح والنبين من بعده . فأن لم يكفهم ذلك
 فى الايمان به فيكفى أن الله وملائكته يشهدون به . وليس
 لمن يكفر بعد هذا الا عذاب جهنم وكان ذلك على الله يسيرا
 « يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خبرا
 لكم وان تكفروا فأن لله ما فى السموات والارض وكان الله
 علما حكما »

واما نصارى غلوا فى دينهم وقالوا أن المسيح أله مع
 أنه ان يستنكف أن يكون عبد الله . وقد جاءهم القرآن
 بنور التوحيد فضلوا بعدم الاهتداء به (فأما الذين آمنوا

بأنه واعتصموا به فسيدهم في رحمة منه وفضل ويهديهم
إليه صراطا مستقيما .

حكم الكلالة

الكلالة من الوارثين هم الخواشي الذين يدلون إلى الميت
بواسطة الوالدين . وقد بين في أحكام الارث السابقة نصيب
الكلالة اذا كانوا أخوة لام . واخر بيان نصيب الكلالة اذا
كانوا أخوة من العصب إلى هنا حتى استفتوا فيه . فأنتم
بهذه الآية التي ختمت بها هذه السورة وانتم بها أحكامها
فقال (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة أن أم رؤسها
ليس له ولد وله أخت فأما نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن
لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وأن كانوا أخوة
رجالاً وبناتاً فلا ذكراً مثل حظ الانثيين بين الله لكم أن تعلموا
والله كل شيء عليم)

سورة المائدة

سميت هذه السورة بهذا الاسم لانه قد ذكر فيها
حديث المائدة التي أنزلت من السماء على عيسى . وهو أهم شيء
يمكن ان يميزها عن غيرها . وقد نزلت هذه السورة بعد أن

نقض أهل الكتاب من يهود المدينة وغيرهم العهد التي
كانت بين النبي وبينهم . فبعضهم حارب به كبنى قريظة وبنى
قينقاع . وبعضهم تأمر علي قتله كبنى النضير . وبعضهم لم يرض
بحكمه في حد الزنا وغيره وحاول أن يغشه . وكان لهم في حربهم
ونآمرهم مساعدون من المنافقين يقولونهم ويقولون نخشى أن
تصيبنا دائرة . فجاءت هذه السورة وفي أولها أمر المؤمنين
بالوفاء بالعهد على اختلاف أشكالها . سواء أكانت بين الله
والعباد أم بين العباد بعضهم مع بعض . ثم بينت أن نقض
العهد معروف في أهل الكتاب مع كل الأنبياء الذين بعثوا
إليهم . ثم جاء فيها نهى النبي عن الحزن لنقضهم العهد الذي كان
بينهم وبينه وانحياز فريق من المنافقين إليهم آثروا الكفر على
الإيمان . ثم أمره أن ينقض العهد من جانبه كما نقضوه . وأن
يبلغ ما أنزل إليه في ذلك ولا يخاف من قتالهم قاله يعصمه منهم
فهذا هو المقصود بالذات من هذه السورة . وقد ذكر
في أولها بعد أمر المؤمنين بالوفاء بالعهد أن الله أحل لهم بهيمة
الأنعام على سبيل الامتنان ليكون هذا باعثا لهم على الوفاء بها
وقد علموا أن بني إسرائيل لم يحرم عليهم من الطيبات ما حرم

عليهم الا لنقضهم المواثيق التي أخذت عليهم . وقد جر هذا
الى الكلام على احكام الاطعمة على سبيل الاستطراد . وعلى
قدر الغرض الذي ذكرت لاجله . ثم كملت احكامها في آخر
السورة حينما تم الكلام فيها على المقصود بالذات منها
ثم ختمت السورة بذكر أحوال يوم القيامة وما يكون
فيه من جمع الرسل وسؤالهم عما أحدثه أتباعهم من بعدهم .
وجوابهم بأنهم لم يبلغوهم الا ما امروا به . فهم الذين غيروا
فيه وبدلوا بعد وفاتهم . وهنا لك يفوض الرسل امر عذابهم
والعفو عنهم الى ربهم فيجيبهم الله بان هذا يوم الصدق
والوفاء بالعهد . ويمود اذا السياق الى ما كان عليه قبل الكلام
على تلك الاحكام . ويتناسب البدء والختام
وبهذا كله ينحصر الكلام في هذه السورة في ثلاثة
مقاصد وخاتمة

المقصد الثاني

يأياها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أخذت لكم بهيمة الانعام
الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد
الا يات الى قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كَرَّمَا نِعْمَةً اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اُنْ
يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكُفْ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

« ١ »

أمرهم بالوفاء بالعقود شكراً لله على ما أحل لهم من بهيمة
الأنعام الألفى حالين . أولهما سيأتي . والثاني ان يكونوا
محرمين فلا يحل لهم الصيد كما لا يحل لهم أن يحلوا شوائر
الحرم ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام . فاذا
حلوا جاز لهم الصيد . ثم فصل ما حرم عليهم في الحال الأول
من الميتة والدم وغيرهما . وذكر أنه أحل لهم الطيبات وطعام
اهل الكتاب كما أحل لهم نساءهم اذا آتوهن أجورهن (محصنين
غير مسالخين ولا متخذى أخذان) الآية

٢

ثم أمرهم أن يتطهروا قبل أن يقوموا الى الصلاة فاذا
قاموا اليها ذكروا تلك المواثيق والعقود التي أخذت عليهم .
فهو هنا يأمرهم بذكرها في كل صلاة لئلا ينسوها بعد أن
أمرهم هناك بالوفاء بها مطلقاً . ويشير الى ان هذا هو

المقصود من فرض الصلاة على العباد

ثم امرهم ان يكونوا قواء بقره بالقره ط وان يكون
رائد هم العدل في معاملتهم مع العباد . ويريد بهذا ارشادهم
الى امر جامع فيما امروا به من الوفاء بالعهود . وان ذلك
يكون بالقيام بحق العبودية وبالاستعمال العدل مع
الاصدقاء والاعداء

ثم تخلص الى ذكر ما كان من اليهود وغيرهم من نقض
عهود المسلمين وان الله كف اذاهم عنهم بفضل محافظتهم
عليها . وامرهم ان يشكروا الله على ذلك وان يتوكلوا
عليه ليحفظهم منهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

المقصد الثاني

(ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
وقال الله اني معكم) الآية

الآيات الى قوله تعالى

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اوائك اصحاب الجحيم

لما تخلص فيما تقدم الى ذكر نقض اليهود لما كان بينهم
وبين المسلمين من عهود . وكان هذا هو السبب في نزول هذه

السورة. انتقل الى سياق طويل ينحصر ما جاء فيه في اربعة امور

اولها

في بيان ان العصيان ونقض العهد معروف في اهل الكتاب من قديم الزمان. وقد ذكر في اثبات ذلك وقائع اولها انه اخذ الميثاق على بني اسرائيل ان يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بالله ورسوله. وبعث منهم اثني عشر كفيلاً بالوفاء بذلك العهد. ومع هذا نقضوه ونسوا كثيراً مما انزل الله اليهم نأثها ان النصارى اخذ عليهم مثل ذلك العهد فنقضوه ونسوا كثيراً مما انزل الله اليهم ايضاً. وقدرسل الله اليهم رسولاً يبين لهم كثيراً مما يخفونه من كتبهم. ويرد على النصارى قولهم ان الله هو المسيح ابن مريم. وعلى اليهود والنصارى قولهم نحن ابناء الله واحباؤه. ويبين لهم الدين الصحيح بعد انقطاع الرسل عنهم لئلا يكون لهم عذر في بقائهم على ما حدثوه بعد انبيائهم

نأثها ان الله وعدهم ان يعطيهم الارض المقدسة واخذ على نفسه بذلك ميثاقاً مع ابيهم ابراهيم. ثم بعث اليهم موسى لياخذ لهم تلك الارض من الكنعانيين الذين كانوا

بها. فأبوا أن يسيروا معه لقتالهم. ونسوا أن الله عهد بها اليهم
 رابعها أن الله حرم قتل النفس والفساد في الارض من
 يوم أن قتل قابيل هابيل. واخذ على بني اسرائيل الميثاق بذلك
 فنقضوه وأسرفوا في القتل والفساد في الارض وحاربوا الله
 ورسوله. وهؤلاء جزاؤهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع
 ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض. ثم حذر
 للمؤمنين من الوقوع في هذا الفساد وأمرهم بتقوى الله.
 وأن يعاقبوا على السرقة وهي نوع من ذلك الفساد بقطع
 الايدي. وبين لهم أن من تاب يتوب الله عليه وينجيه من
 العذاب برحمته وقدرته (الم تعلم أن الله له ملك السموات
 والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل
 شيء قدير) ثانيها

في تسلية النبي على مسارعهم في الكفر بعد تقضيم ما
 كان بينه وبينهم من عهد. وبيان أنهم كانوا يريدون من النبي
 أن يوافقهم على ما حرفوه من كتبهم وأن يحكم بينهم على وفق
 أهوائهم ولو كان على خلاف ما أنزل عليهم في شرائعهم. فقد
 نهاهم كوا إليه في زانين ايحكم عليهما بغير الرجم الذي أنزل

عليهم في التوراة . وفي حكم الدية وتفضيلهم بنى النضير
على بنى قريظة ليحكم لهم بخلاف ما كتب عليهم فيها من أن
النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن
بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص . وقد جاء الانجيل
بعد التوراة مصدقا لأحكامها . وجاء القرآن بعدهما مهيمنا
عليهما بحكم بتحريف ما حرفوه منها ويأمرهم بالعمل بما
بقي على أصله من حكم الرجم والدية وغيره . ولكنهم يعرضون
عن ذلك ويبغون حكم الجاهلية المبني على الهوى ومعاملة
القوى بخلاف معاملة الضعيف (أحكم الجاهلية يبغون ومن
أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)

ثالثها

في بيان أن من ينقض عهده مع النبي يجب على المسلمين
أن ينقضوا عهودهم معه . فإنه لما حاربت اليهود رسول
الله تشبث بحلفهم المنافقون وقالوا نخشى أن تصيبنا دائرة
وأن تدول الدولة لهم فننتفع بحلفهم . فعسى الله أن يفتح علي
المسلمين ليخيب رجاءهم ويندموا علي تشبثهم بهم وتجبط
أعمالهم فيصيحوا خاسرين . ومن يتولى الله ورسوله فهم

الغالبون . ثم ذكر من قبائح اليهود مالا يصح معه للمسلمين
 ان يتخذوا منهم حلفاء أو أولياء . فمن ذلك أنهم يتخذون
 دينهم هزوا ولعبا وينقمون منهم أنهم آمنوا بالله وما أنزل
 إليهم وإلى من قبلهم . وينسون أعمالهم السيئة التي استحقوا
 بها غضب الله . ومن ذلك أن منهم منافقون يظهرون
 الإيمان ويتجسسون لقومهم . ومنهم كثير يسارعون في الالتم
 والمدوان ويأكلون السحت ولا ينهأهم عن ذلك ربانيوهم
 وأخبارهم النخ النخ ولو أنهم تركوا تلك القبائح لغفرناها لهم
 نعم أن منهم من تركها ولكنه قليل بجانب المصر عليهما (منهم
 أمه مقصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)

رابعها

في أمر النبي بنقض عهدهم كما نقضوه وتبليغ ما أمر به
 في ذلك . والله يعصمه منهم وينصره في حربهم . وقد أمره
 ان يخبرهم بأنهم ليسوا على شيء من العهد الذي كان بينه
 وبينهم . وانه لا يقبل منهم بعد هذا الا أن يقيموا التوراة
 والانجيل ويؤمنوا بالقرآن الذي أنزل إليهم وإلى غيرهم ولا
 يفرقوا بين الثلاثة فيؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض . فأن

فملوا ذلك فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ثم ذكر دليلا
على عدم اقامتهم للتوراة والانجيل اولها أن بنى اسرائيل
قد اخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا بكل رسول يأتيهم من
ربهم ولكنهم كانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم
يكذبونه أو يقتلونه . فجازاهم الله على ذلك بالقتل والتخريب
وغير ذلك من الفتن والشدائد كتسليط الامم عليهم مرة بعد
أخرى . أما النصارى فكفروا وقالوا أن الله هو المسيح بن
مريم وثالث ثلاثة (الأب والابن وروح القدس)
فكل من الفريقين قد غلا في دينه واتبع أهواء قوم
قد ضلوا وهم رؤساءهم الذين اتخذوهم أربابا يشرعون لهم
ما لم يأذن به الله . فحق عليهم بذلك لعنة داود وعيسى وبما
عصوا وكانوا يمتدنون

الثاني انهم يتولون مشركى العرب ويسادون المؤمنين
الذين هم أقرب اليهم منهم . ولو كانوا يؤمنون بالله ويقيمون
التوراة والانجيل ما اتخذوهم أولياء واتخذوا المؤمنين أعداء .
نعم أن النصارى لا يعادونهم كاليهود . فهم أقرب اليهم مودة
منهم ومنهم قسيسون ورهبان اذا سمعوا ما أنزل الى الرسول

فاضنت اعيينهم من الدمع. وقالوا ربنا آمننا فاكتمبنا مع الشاهدين
فأثابهم الله على ذلك ثواب المحسنين (والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم)

المقصد الثالث

بأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا
تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين
الآيات الى قوله تعالى

ذلك ادنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن
ترد إيمان بعد إيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي
القوم الفاسقين (١)

كمل في هذا المقصد أحكام الاطعمة والصييد وذكر في
ذيلها حكما آخر نزل معها فقرن بها وهو حكم الشهادة في
الوصية. وقد ذكر في أول السورة أنه أحل لهم الطيبات
فتهاهم هنا أن يحرموا شيئا منها على أنفسهم. وذلك قد
يكون من غير التزام يمين وقد يكون به فيكون لغوا لا
يؤاخذ الله في تركه والتكفير عنه. ولكن يؤاخذ في الاقامة
عليه وتحريم الحلال به. ثم ذكر ما حرمه من الاطعمة وهو

الجزر في ضمن محرمات اخرى من نوعه . ونفى الاثم عن الذين
 شربوها فيما مضى فقال (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم
 اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين)

(٢)

ثم ذكر تحريم الصيد في حال الاحرام وقد ذكره فيما
 مضى تمهيد البيان حكم من يقتله متعمدا وهو وجوب مثل ما
 قتل النعم هديا بالغ الكعبة . وبيان ان المحرم هو صيد
 البر لا صيد البحر . ثم ذكر ان الهدى انما وجب الى الكعبة
 لان الله انما اوجب الحج اليه في الشهر الحرام ليحصل لاهلها
 ما يقيم عماشهم . قضى بذلك علم الله بنظام خلقه في ارضه وسماؤه
 وعظيم رأفته بمباداه . فليحذر من يخالف ذلك بترويع
 حجاج بيته ومخالفة احكام نسكه من شديد عقابه . وما
 على الرسول الا البلاغ . والله يعلم كل الاعمال ظاهرها
 وخفيها . ولا يستوى عنده الخبيث والطيب منها

ثم اشار الى ان الحج انما يجب في العمر مرة وفي هذا
 كفاية لاهل ذلك البيت . وقد سأل قوم النبي حين وجب الحج

عليهم أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالوها ثلاثا ثم قال
لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم . فلا تسألوا عن أشياء أن
تبدلكنكم نسؤكم

ثم أبطل هدايا الأصنام من البحيرة والسائبة وغيرها
من بدع أهل الشرك الذين يفترون على الله الكذب وإذا قال
لهم المؤمنون تعالوا إلى ما أنزل الله اعرضوا وقالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم
من عدل إذا تهديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما
كنتم تعملون) (٣)

ثم ذكر حكم الشهادة على الوصية وأنه يكفي فيها اثنان
من المسلمين . فإن كان الموصى مسافرا ولم يجد مسلما أشهد
اثنين من غيرهم . ثم أكد في الشهادة على الوصية بما أكد به
ليأتوا بها على وجهها (أو يخافوا أن ترد إيمان بعد إيمانهم
واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين)

الخاتمة

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أحببتم قالوا لا علم لنا
أنك أنت علام الغيوب

الآيات الى آخر السورة

ذكر سؤال الرسل وجوابهم بالآجال . ثم بين بالتفصيل
سؤال واحد منهم وهو عيسى وجوابه عنه . فذكره بنعمته
عليه أذأيده بمعجزات كثيرة . وأذسأله الحواريون أن
ينزل عليهم مائدة من السماء فأنزلها عليهم . ثم سأله أنت
قلت بعد هذا للناس اتخذوني وأبي الهين من دون الله . فتبرأ
من هذا وقال ما قالت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله
وربكم فكذبوا على بعد ان توفيتني . فأن تعذبهم على هذا
فهم عبادك . وان تغفر لهم فأنك انت العزيز الحكيم . فقال
الله هذا يوم لا ينفع فيه الا الصدق والوفاء بالعهد . فيجازي
عليهما بما لا يقدر عليه غير الله تعالى (الله ملك السموات
والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير)

سورة الانعام

سميت هذه السورة بذلك لانه فصل فيما حكم الانعام
من الأبل والبقر والضأن والمز تفصيلا لم يشاركها فيه
غيرها . وقد نزلت في محاجة المشركين فأخبرت عن السور

الرابع السابقة التي كانت الحاجة فيها مع أهل الكتاب وأمرهم
 أهم من أمر المشركين . ولما كان المشركون عبدة أصنام وكان
 الجدل معهم في اثبات التوحيد والنبوة ذكر في أولها أن
 الذي يستحق الحمد هو الله دون أصنامهم . وأيد ذلك بما
 أيده به ليكون هذا بمثابة إعلان عن المقصود منها من أول الأمر
 والسورة كلها سياق واحد في اثبات هذين الأمرين
 وحاجة المشركين فيها حتى قال بعضهم إنها كلها نزلت
 دفعة واحدة . ولكننا بعد البحث وجدنا أنها تنقسم إلى قسمين .
 أولهما في اثبات هذين الأمرين . وثانيهما في إبطال أحكام فرعية
 ابتدعوها حين تركوا التوحيد ونسوا ملة إبراهيم . وأثبات
 أحكام سواها تلتزم معها . وأن لها مقدمة في اثبات هذين
 الأمرين قبل البدء في محاجتهم فيها . وخاتمة في ترغيبهم
 في ذلك الدين ببيان أن الفرض منه رفع شأنهم أدبيا
 وماديا . فالأول باعطائهم كتابا . كطائفتي اليهود والنصارى
 يرجع بهم إلى الخيفية السمحة ملة إبراهيم . والثاني بجماعهم
 خلافت الأرض واعطائهم ملك الأمم التي صارت غير صالحة
 لخلافة الله فيها . فهذه أربعة أقسام مقدمة ومقصودان وخاتمة

المقدمة

الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
الآيات الى قوله تعالى
ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال
الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين

استدل على الوحدةانية وتفرد الله بالحمد بخلق السموات
والارض والظلمات والنور . ثم بخلق الانسان من طين
وطمه بما فى السموات والارض وبما يعمله الانسان فى السر
والجهر وما يكسبه من خير أو شر
ثم اثبت النبوة بما أنزله من الآيات التى كذبوا بها
استكبارا وعنادا ولم يخافوا ان يهلكوا كما اهلك من قبلهم
من الامم الذين كذبوا أنبياءهم . بل لجوا فى عنادهم حتى لو
نزل عليهم كتاب فى قرطاس فلمسوه بأيديهم (لقال الذين
كفروا أن هذا الاسحر مبين)

المقصد الاول

وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى
الامر ثم لا ينظرون الايات الى قوله تعالى
أن ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
(١)

بدور السياق في هذا المقصد على محاجة المشركين في
هذين الامرين . فيذكر ما يقولونه ترويحاً لشركهم ويرد عليه
ثم يذكر غيره ويرد عليه وهكذا
فأول ما قالوه انهم اقترحوا أن ينزل عليه ملك برونه ويؤيده
فيما جاء به من التوحيد والنبوة . وقد أجابهم عن هذا بجوابين
أولهما أنه لو أنزل عليهم ملك ولم يؤمنوا لا هلكوا من غير
تأخير . وقد أراد الله لهم خلاف ذلك وعلم أنهم سيؤمنون
بعد طول العناد ويكون من شأنهم في الارض ما يكون .
وثانيهما أنه لو أنزل ملك لكان في صورة البشر ليمكنهم رؤيته
وسماع كلامه . وحينئذ لا يفهمون الا أنه بشر ويعودون
الى اقتراح ما اقترحوه . ثم أيد ما قاله من أنهم اذا لم يؤمنوا
بهد نزول الملك يهلكوا بما جرت به سنة الله مع الامم

السالفة الذين أهلكتهم الله بعد نزول الآيات التي اقترحوها
على أنبيائهم ولم يؤمنوا بها (قل سيروا في الأرض ثم
انظروا كيف كان عاقبة المكذبين « ٢ »

ثم اخذ بعد أن ذكر أنه لا سبيل إلى ما اقترحوه يبين
أهم الآيات الكونية على التوحيد مما يغنى النظر فيه عن تلك
الآيات التي اقترحوها ، فذكر أن ما في السموات والأرض
وما سكن في الليل والنهار لا يمكن أن يكون لغير الله من
أصنامهم وكذلك خالق السموات والأرض وأطعام من فيها
من خلقه ، ثم ذكر أنه بعد هذا لا يمكن أن يشرك مثلام
لأنه مأمور بالاسلام ويخاف أن عصي ربه من عذاب لا
كاشف له غيره (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)

« ٣ »

ثم أخذ يثبت النبوة بعد التوحيد بشهادة الله الذي
انزل عليه القرآن معجزة له لينذرهم به ويبطل ما اتخذوه
مع الله من آلهة غيره وبشهادة أهل الكتاب الذين يعرفونه
كما يعرفون أبناءهم ، ولكن المشركين خسروا أنفسهم فهم
لا يؤمنون ويغترون على الله الكذب من الولد والشر يك

ويكذبون بآياته التي أنزلها على نبيه - فويل لهم من يوم يتبرؤون
فيه من شركائهم - ولا يجحدون فيه - غير الله أمامهم (انظر
كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون)

« ٤ »

ثم بين السبب في عدم تأثير ذلك الكتاب فيهم وهو أنهم
لا يفقهونه ولا تقوي آذانهم على سماعه فينهبون الناس عنه
ويبتعدون عنه ويهلكون أنفسهم بهذا وما يشعرون - فسيرون
من العذاب ما يندمون معه على تكذيبهم له وتضييعهم الحياة
في اللذات والشهوات (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار
الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون

« ٥ »

ثم أخذ يسلي النبي على تكذيبهم له ويعدده بالتصر الذي
كان لرسله حين كذبوا فصبروا - ويبين له أنه لا سبيل الى
الآيات التي يقترحونها لانه علم أنهم لا يستجيبون اليها
(انما يستجيب الذين يسمعون والموتى بهم ثم الله ثم اليه يرجعون

اقترح آية ثانية « ١ »

ثم ذكر أنهم اقترحوا آية ثانية أن ينزل عليهم آية عذاب

كأنى انزلت على عاد وغيرهم . وهذا بعد ان علموا بما سبق
 أنه لا ينزل عليهم ملائكة لانه لا يريد هلاكهم . فأطمعهم ذلك
 في هذا الطلب الذى علموا أنهم لا يجابون اليه وقد رد عليهم
 بأن الله قادر على تلك الآية وأن لم يرد أن يستأصلهم . وأن
 عنده من الخلق فى الارض والهواء والسماء أمم كثيرة لا يذكر
 فى كثرتها عددهم . ولا يؤثر فيها هلاكهم . ولكنهم لا يعقلون
 هذا لانهم كما قال (صم وبكم فى الظلمات من يشأ الله يضلله
 ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)

«٢»

ثم ذكر اجوبة أخرى على ذلك أولها أن العذاب الذى
 يطلبونه إذا جاءهم فمن يدعون لكشفه غير الله . وإذا كان
 هذا كذلك فلم لا يؤمنون به من غير أن يطلبوا ذلك الطلب
 الذى يضربهم . على ان اى مقديمة طلبت ما يطلبونه فلما أتاهم
 كذبوا به وقست قلوبهم ففقطع الله دابرهم الخ الخ
 ثانيها أنه لم يقل لهم أنه عنده خزائن الله ولا أنه ملك
 حتى يفترحوا عليه تلك الاقتراحات . وما هو الا رسول
 أتاهم بكتاب من الله لينذرهم به الخ الخ

ثالثها أنهم ليس لهم فيما يعبدون من دون الله يدنة عليه
 بل أهواء لا يصح الارتكان عليها. ولا طالب آيات لآياتها
 من نفوسهم. أما هو فهو علي بنية من ربه وليس عنده العذاب
 الذي يستمجلون به ولو كانت عنده لقضى الأمر بينه وبينهم
 بأهل الأكم. لأن الله يعلم أنهم لا يؤمنون ولو جاءهم ذلك
 العذاب. وليس بغريب أن يعلم ذلك وعنده مفاتيح الغيب لا
 يعلمها غيره الخ الخ

رابعها أن العذاب الذي يطلبونه سيأتيهم من فوقهم
 ومن تحت أرجلهم حين يقضى الله بهم المؤمنين عليهم وسيأتي
 وقت ذلك القدر. ولكل نبي مستقر. فأن كذبوا بهذا
 وخاضوا في آياتنا بالباطل فأعرض عنهم الخ الخ

خامسها أن نعمتهم عليه بتلك الآيات لا يمكن أن يردده
 عن عقبه بعد أن هداه الله فيعبد من أصنامهم ما لا ينفع
 ولا يضر. وأن له بأبيهم إبراهيم أسوة اذ وقف مع قوميه
 هذا الموقف بعد أن هداه الله اليه. وحاجوه كما حاجونه فقال
 اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به.
 فرفع الله درجته وبارك في ذريته وجعل منهم الانبياء

والمصالحين . وهداهم الى ذلك الدين الذي يدعوهم اليه ولا
يسألهم أجرا عليه (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل
لا أسألكم عليه أجرا أن هو الا ذكرى للعالمين)

افتراء ثالث

ثم ذكر انهم انكروا رسالة أولئك الانبياء حينما احتج
بهم عليهم . وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء . فرد عليهم
بأنه اذا صبح ذلك فمن انزل التوراة على موسى وانتم لا تنكرون
ان الله انزلها عليه . بدليل رجوعكم الى اليهود في امرى
واعترافكم بأنهم أهل الكتاب العالمون بأخبار الانبياء . فما
أحراكم أن تؤمنوا بي وقد بعثت لاعدائكم ما لم تعلموا أنتم ولا
آباؤكم . وجئتكم بكتاب مصدق للتوراة التي تستفتون اليهود
فيها . واعلموا أيها المشركون انه لا يوجد اظلم ممن يفترى على
الله هذا الافتراء . فمن ينكر وحي الانبياء كمن يدعي الوحي
كذبا وكن يكذب بما انزل الله . ويزعم ان في امكانه ان ينزل
مثله كلهم في الظلم سواء . ولو يرى الظالمون ما أعد لهم من
عذاب الهون في يوم لا يجحدون فيه شفيما من الشركاء الذين
اتخذوهم من دون الله لتركوا هذا العناد وما افتروا هذا

الافتراء . وكيف يكون لله شفيع أو شريك وهو فائق الحب
والنوى . ومخرج الحى من الميت والميت من الحى النسخ النسخ .
وقد انتهى فى هذا الى تذكير النبى بأن اشراكهم بمشيئة
الله ليهون الامر عليه . وإلى نهى المسلمين عن أن يسبوا
أهلهم (فیسبوا الله عدوا بغير علم كذا لك زينا لكل أمة
علمهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)
عود الى اقتراح الآيات

ولما تبين لهم أن نعتهم ظاهر فى الانكار على جميع
الانبياء عادوا الى ما كانوا عليه من الانكار على نبيهم وحده .
وإلى اقتراح الآيات عليه ليجدوا من عدم أجابتهم اليها ما
يخفى شيئا من نعتهم . واجتهدوا هذه المرة فى أن لا يظهروا
بمظهر المتعنت فأقسموا بالله جهداً أيمانهم لئن جاءتهم آية
ليؤمنن بها . وقد اغتر بعض المسلمين بهذا فتمنى أن يجيبهم
الى ما يطلبون . فرد عليهم بأنت الله يعلم مع هذا أنه اذا
أجابهم لا يؤمنون . وما كانوا ليؤمنوا إلا ان يشاء الله ولو
أجيبوا الى أكثر مما يطلبون فأنزلت اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشر عليهم كل شئ قبلاً . وأنما تلك عادة الجاحدين

فدينا وحدثنا. يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ليؤثروا به على ضعاف الايمان. أما المؤمنون حقاً فيعلمون أنه لا فائدة في اظهار الآيات بعد أن حكم الله بين النبي وبينهم. وأبده بالقرآن الذي يعلم أهل الكتاب أنه الحق من ربهم. وليس لهؤلاء الجاحدين بعد هذا الاتخربات وظنون كتلك الاقتراآت والاقتراحات التي لا سبيل الى أجابتهم اليها. فيجب الرضا بما قضى الله فيها وأن لا يطيع النبي فيها أحداً (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين)

المقصد الثاني

فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين
الآيات الى قوله تعالى

ولا تقربوا مال اليتيم الا بالى هي احسن حتى يبلغ
اشده - الآية (١)

كان اهل الجاهلية يحملون الميتة ويقولون ما قتله الله
أولى بالحل مما قتله الانسان. فأبطل الله هذا واحل ما ذكر
باسم الله عليه وهو المذبح. وحرم ما لم يذكر اسم الله عليه

وهو الميعة . ونهى المسلمين عن الاستماع لهذا القول الفاسد
الذى يحاد لهم به الشر كون وهم في ظلام دامس من ضلالهم
الذى يزين لهم ما يعملون . ويحسن لهم أن يذكروا بمثل هذا
ليخضعوا للمسلمين . كما يذكرون اذا جاءتهم آية فيقولون ان
نؤمن حتى ينزل علينا الوحي كما انزل على رسل الله . وهكذا
من يرد الله هدايته يشرح صدره للاسلام . ومن يرد ضلاله
يجعله يكر ويجرى وراء الشبه والضلالات . فيضيق صدره
ويكون كأنما يصعد في السماء . وكذلك يجعل الله الرجس
على الذين لا يؤمنون . ويهدي من يشاء . وكذا ذكر الى
صراطه المستقيم . ويجعل لهم دار السلام جزاء بما كانوا يعملون
أما أعداؤهم من الجن والانس فيعاقبهم في دار الجحيم . كما
يعاقبهم في الدنيا فيذهبهم ويستغلف من بعدهم قوما آخرين
(قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من
تكون له عاقبة الدار انه لا يفتح الظالمون)

(٢)

والثاني مما ابطله الله من أحكامهم أفرازم من حروثهم
وانعامهم نصيبا لله ونصيبا لاصحابهم . فاذا زاد نصيب

الاصنام ولم يزد نصيب الله تركوا نصيبها لها وقالوا لو شاء
لزكى نصيب نفسه . وأن زاد نصيبه ولم يزد نصيبها قالوا لا
بدل لها من نفقة فأخذوا من نصيبه واعطوا لسدنتها

والثالث قتلهم أولادهم خوفا من الفقر — والرابع —
قسمتهم الانعام والحروث الى محجورة للآلهة لا يطعمها
الاسدنتها . والى انعام حرمت ظهورها وهي البحائر
والسوائب والحوامى . والى أنعام لا يذكرون اسم الله عليها
عند ذبحها بل يذكرون اصنامهم

والخامس تحريمهم ما فى بطون هذه الانعام على زوجاتهم
أن نزل حيا . فأن نزل ميتا اشترك فيه الذكور والاناث
فكل هذه امور باطلة ابتدئها أهل الجاهلية (افتراء
على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) (٣)

ثم ذكر أنه هو الذى انشأ الحروث وأباحها للناس
بشرط أن يخرجوا منها حق الله للفقراء عند حصادها . وأنه
هو الذى خلق الانعام وأباحها للناس ألا أن تكون ميتة
او دما مسفوحا أو فسقا أهل به لغير الله . وأنه انما حرم
على اليهود ما حرم منها جزاء بغيرهم . فأن بغير هؤلاء وكذبوا

ما جاء به النبي من تلك الاحكام (فقل ربكم ذو رحمة واسعة
ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين
(٤)

ثم ذكر أنهم وقد ظهر افتراءؤهم على الله في تحريم ما
حرموه سيقولون لو شاء الله ما أشركنا ولا حرمنا تلك
الاشياء . فهذا التحريم اذا منه وبأرادته ونحن مجبورون
عليه . ورد عليهم بان هذا القول ليس عندهم به علم ولا
دليل . ولا يفيد ان الله حرم تلك الاشياء وإنما يفيد أن يأتوا
بمن يشهد ان الله حرمها . وأنى لهم بمن يشهد لهم بذلك . لان
الله لم يحرم علينا مثل هذا وإنما حرم الشرك وقتل الاولاد الخ
ووصانا بذلك فقال (وبعهد الله اوفوا ذلکم وصاکم به لعلکم
تذكرون) الخاتمة

وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله ذلکم وصاکم به لعلکم تتقون
الآيات الى آخر السورة

لما فرغ من بيان الاصول الدينية والفروع التي تقدمت

ذكر لهم ان هذا هو الصراط المستقيم الذي يجب عليهم اتباعه .
ثم اخبرهم ان الله انزل التوراة على موسى فيها تفصيل كل شئ
وانزل عليهم القرآن ليقطع عذرهم في الاستمرار على شركهم
ولئلا يقولوا يوم القيامة انا لم ينزل علينا كتاب بل انما
انزل على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم يمكننا درسه . فالذين
يكذبون بذلك القرآن بعد هذا يكونون اظلم خلق الله ولا
ينتظر ان يصدقوا بشئ بعده الا ان تأتيهم الملائكة او .
هذا يوم القيامة فلا ينفعهم ايمانهم ولا ينجيهم من عذابهم
بل يحاسبون على ما قدموه حسابا تكافأ فيه الحسنة بعشر
امثالها (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلهما وهم لا يظلمون)

« ٢ »

ثم ذكر لهم ان هذا الصراط المستقيم هو دين أبيهم
ابراهيم دين التوحيد والخلاص للعبادة لله الذي لا اله غيره
ولا تزر عنده وازرة وزر أخرى بل يحشرهم ويجازي كل
واحد على عمله . وأن الله لم يخترع لهذا الدين الا ليجعلهم
خلائف الارض دون سائر الامم . فان آمنوا به كانت لهم
تلك الخلافة في الارض . وغفر لهم ما قدموه من شرك .

وان لم يؤمنوا عاجلهم الله بالعقاب واستخلف قوما آخرين
وهذا هو الابتلاء في قوله تعالى (ليبلوكم الله فيما آتاكم ان
ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم)

سورة الاعراف

سميت هذه السورة بذلك لان حديث الاعراف الذي
ذكر فيها هو ما يمكن أن تمتاز به عن غيرها . ويقصد منها
ما يقصد بسورة الانعام من دعوة المشركين الى الايمان
الا أن سورة الانعام عني فيها غالبا بأخذهم بالحجة والبرهان .
وهذه عني فيها غالبا بأخذهم بالرغيب والترهيب . فلما
جاء معظمها في ذكر يوم القيامة وما أعد فيه للطائعين والعاصين .
وفي حكاية أخبار الاولين مع أنبيائهم وما ابتلاهم الله من آيات
العذاب جزاء عصيانهم . ولما كان الاقتناع بالبرهان مقدما
على الاقتناع بالرغيب والترهيب أخرت السورة التي عني فيها
بالامر الثاني عن التي عني فيها بالامر الاول وأيضاً فهذه
السورة قد فصل فيها ما أوجمل في أول سورة الانعام من
أخبار القرون الاولى التي أهلكتها الله على تكذيبها برسالها .
ومرتبة التفصيل بعد الأجمال . والسورة كلها سياق واحد في

ذلك الغرض الا أنه يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام . أولها
 في تحذيرهم اجمالاً بما حصل للامم السابقة التي عصت
 أنبياءها من عذاب الدنيا والاخرة . وترغيبهم في الايمان
 بما ذكره من وسائل الترغيب . وثانيها في تفصيل ما حصل
 لتلك الامم مع أنبيائها أمة أمة . وثالثها في أن ما حصل لتلك
 الامم سيحصل مثله لهؤلاء المشركين وأنعماء على الله لهم
 ويستدرجهم من حيث لا يعلمون

القسم الاول

المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج
 منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين)

الآيات الى قوله تعالى

والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا
 يخرج الا نكدا كذلك نهرف الآيات لقوم يشكرون

لما كانت هذه السورة لا تشتمل الا على وجوه من
 التحذير والترغيب ابتداءً بما يشير الى هذا الغرض من
 اول الامر كبراعة مطلع لها فذكر أنه انزل الكتاب للتحذير

والتذكير. ونهي النبي أن يضيق صدره بذلك الأمر الهين عليه.
ثم أمرهم باتباع ما أنزل إليهم وذكر من التحذير والترغيب
وجوها أولها أن الله جرت سنته فيمن لا يجيب دعوة الأنبياء
أن يهلكهم بيأسه في الدنيا ثم يحشرهم إليه فيسألهم سؤال
عارف بما فعلوه مع أنبيائهم. ويجازيهم بالقسطاس المستقيم
على كل صغيرة وكبيرة منه

ثانيها أن الله مكن لهم في الأرض وجعل لهم فيها
ما يعيشون به وهذا يوجب عليهم أن يشكروه على ذلك
باتباع رسوله

ثالثها أن الله أكرمهم بأن جعلهم من نسل آدم وهو
أكرم خلق الله عليه. ثم حكى من سجود الملائكة له ومن
طرد إبليس من جنته بسبب امتناعه منه ومن احتياله في
إخراجه منها كما أخرج بسببه ما يؤيد عظم منزلته عند ربه
رابعها أن الله جعل لهم لباساً يوارون به سواهم ولباساً
يتزينون به بعد أن أخرج أباهم آدم من الجنة لا يجد ما يستر به
عورته الا ورق الشجر وهذا أيضاً يوجب عليهم طاعته
بطاعة رسوله

خامسها ان الله اخرج آدم من الجنة بفتنة الشيطان مع
 ماله من المنزلة عنده فمن يعص رسوله ويتبع الشيطان في
 زين العصيان والفواحش له مثل ان الآباء كانوا يعملونها
 وأن الله أمر بها مع أن الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر
 بالقسط يطرد من رحمة الله وتحق عليه كلمة العذاب

سادسها ان الله أحل لهم أن يأخذوا زينتهم عند المسجد
 الحرام وأن يأكلوا ويشربوا ما يشاؤون بلا إسراف. وكانوا
 يطوفون بالبيت عراة ولا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا
 يأكلون دسما. ولم يحرم عليهم الا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
 ومثل هذا لا يصح أن يقابل من عاقل بالآباء والرفض

سابعها ان الله جعل لكل أمة أجلا لا تتقدم عنه ولا تتأخر
 ثم يحجمهم بعده اليه فمن اتقى فلا خوف عليه. ومن كذب فله
 من العذاب ما بالغ في وصفه وتقن في ذكر حالاته وأظن
 ما شاء أن يظن إلى أن ذكر أنهم حينما يرونه يقولون قد جاءت
 رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل
 غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
 من الأصنام فلم تنفعهم في ذلك الوقت الذي كانوا يدخرونها له

ثم ذكر من صفات الله بمناسبة ذكر أصنامهم وخيبة
 رجائهم فيها ما يقطع معه بأنها لا قيمة لها . فبين أنه هو الذي
 خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم فلا يجوز
 أن يدعى غيره معه . بل الواجب أن يدعى وحده تضرعاً وخفية .
 وهو الذي يرسل الرياح والسحاب لتنقي به البلاد وتخرج
 الثمرات (والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث
 لا يخرج الا نكداً كذلك نعرف الآيات لنوم يشكرون)

القسم الثاني

« لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ... »

الآيات الى قوله تعالى

من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون

ذكر من أخبار الأولين قصة نوح مع قومه وكيف
 غرقهم الله بتكذيبهم له . وقصة هود مع عاد وكيف قطع
 الله دابرهم بتكذيبهم له . وقصة صالح مع ثمود وكيف أخذتهم
 الرجفة بتكذيبهم له . وقصة لوط مع قومه وكيف أهلكوا
 اتكذيبهم له . وقصة شعيب مع أهل مدين وكيف أخذتهم
 الرجفة بتكذيبهم له

ثم ذكر أن هذه كانت سنة الله في كل قرية بعث فيها نبي
فكذبوه . ولو أنهم آمنوا بأنبيائهم لفتح الله عليهم وبارك فيهم
ولكنهم جاءتهم رسالهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما
كذبوا من قبل فطبع الله على قلوبهم (وما وجدنا لأكثرهم من
عهد وان وجدنا لأكثرهم لفاستقين) (٣)

ثم استأنف ذلك القصص فذكر قصة موسى وأما
أفردتها عن تلك القصص وفصلها عنها بما سبق اهتماما بها .
وهي قصة طويلة في سياق ترتبط آياته بعضها ببعض ارتباطا
ظاهرا . ابتدأها بما جرى لموسى مع فرعون وختمها بما جرى
له مع قومه إلى أن أمرهم بدخول القرية وأن يقولوا عند
دخولها حطة (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل
لهم ف أرسلنا عليهم رجلا من السماء بما كانوا يظلمون)

(٤)

ثم قص عليهم ما كان منهم بعد وفاة موسى من الاعتداء
في السبت الذي هو من أعظم شعائرهم . وكيف أخذهم الله
على ذلك بعذاب بئيس وجعل منهم قردة وخنازير وبعث عليهم
من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة وفرق قدامهم في

الأرض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك . ثم خلف
من بعد هؤلاء ، خاف كانوا كلهم فساقا يأخذون عرض هذا
الأدنى ونسوا ما أخذ عليهم من الميثاق ان لا يقولوا على الله
الا الحق بعد تأكيده عليهم برفع الجبل الذي أخذ عليهم فيه
حتى صار فوقهم كأنه ظلة . وبعد أمرهم أن يأخذوه بقوة ولا
ينسوه . هذا الى ذلك الميثاق العام الذي اخذه الله على بنى آدم
وأودعه في فطرتهم أن لا يشركوا به ولا يعصوه . وبعد أن
شاهدوا ما جرى لاحد علمائهم حين نقض العهد وانسلخ من
الآيات التي اكرمه الله بها فأذله وجعله في مثل صفار الكلب
الذي هو أخس الحيوانات . وهكذا يكون حال كل شخص
يكذب بآيات الله أقبح حال . ومثله اسوأ مثل (من يهد الله
فهو المهتدى ومن يضل فإولئك هم الخاسرون)

الخاتمة

واقعد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون
بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)
الآيات الى آخر السورة

(١)

ذكر بعد أن قص ما شاء من أخبار الأولين أن الله هكذا
 أراد أن يجعل البشر على قسمين ضال ومهتدي . فجعل للضال قلوبا
 لا يفقه بها حتى غفل عن ذكر الله والحمد في اسمائه . وهدي
 الثاني إلى الحق فجعلوه اماما لهم فيما يحكمون . والاولون الذين
 كذبوا بآيات الله لا بد أن يصيروا إلى ما صارت إليه تلك
 الامم القديمة وأنما على الله لهم ليقطع عذرهم ثم يأخذهم
 بشدة ويكيد لهم كيذا عظيما . وهذا لاهم التفكير في
 أمر هذا النبي الذي لم يكن مجنوننا حتى يهملوا ما جاءهم به
 من النذر . وتركهم النظر في ملكوت السموات والارض
 ليعرفوا ان له خالقا قبل أن يدركهم الأجل فلا يمكنهم النظر
 ولكن (من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

(٢)

ثم ذكر أنهم يسألونه عن ذلك اليوم الذي ينذرهم به سؤال
 استهزاء واستبعاد له فأجابهم بأن علمه عند الله وما هو الا
 بشر لا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله .
 فهو الذي خلقهم ويقدر على نفعهم وضرهم ولكنهم يشركون

به مالا يخلق شيئاً ولا يستطيع لهم نصراً . من الاصنام التي
ليست لها ارجل تمشي بها ولا عين تبصر بها (وان دعوهم
الى الهدى لا يسموا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون)

«٣»

ثم امر النبي أن يقابل هذا كله بأمرين أولهما العفو
والاعراض . فأن بدرت منه بادرة غضب استعاذ بالله منها
فلا يعضى فيها كما يعضى أولئك المشركون في غيهم ثم لا يقصرون .
وهذا كما يعضون في اقتراح الآيات على النبي وأذا لم يأتهم
بآية قالوا هلا اجتبيتها (اقترحتمها) على ربك . ولا يعرفون
انه نبي لا يصح أن يقترح على الله بل يجب عليه أن يتبع ما يوحى
اليه من آيات القرآن التي هي بصائر من الله . ومن استمع لها
إذا قرئت اهندي بها واستغنى بها عن غيرها

وثانيها الاتجاء الى الله بالذكر في الغدو والاحمال
والمواظبة عليه كما يواظب عليه من عند الله من الملائكة (أن
الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسجدون له
يسجدون)

﴿ فهرست الجزء الاول ﴾

- ٢ — اهداء الكتاب — ٣ — الغرض من الكتاب — ٧ —
 من الف في هذا الفن — ٩ — أصول عامه — ١٤ — فأنحة القرآن
 — ١٧ — سورة البقره — ٤٠ — سورة آل عمران — ٥٧ —
 سورة النساء — ٧٥ — سورة المائدة — ٨٨ — سورة الانعام
 — ١٠٣ — سورة الاعراف

(فهرست الخطأ والصواب)

ص	خطأ	صواب
٣٣	تفقلون	تفقلون
٣٤	الم تر الذين	الم تر الى الذين
٤٣	بشهادته	بشهادته
٦٢	وأعهم	وأعهم
٥٦	يدعوا	يدعو
٦٩	طعمة بين أبيرق	طعمة بن أبيرق
٧٢	يعن	يعن
٧٦	العود	العمود
٩٤	يوزر	يؤثر

الإعقاب الحديثة

في حسن نظم القرآن

﴿ الجزء الثاني ﴾

(تأليف)

عبد المنعم الصغبري

— المدرس بالجامع الأزهر —



سنة ١٩٢٦ م = ١٣٤٤ هـ

(المطبعة العمومية بطنطا)

سورة الأنفال

سميت هذه السورة بذلك لذكر حكم الأنفال والغنائم فيها ، وقد نزلت عقيب غزوة بدر لشرح وقائعها واستنباط وجوه العبر منها ومؤاخذة المسلمين على أمور بدرت منهم فيها ، فقد استنمضهم النبي لقتال المشركين ببدر فسكره فريق منهم لقاؤهم لما كانوا فيه من قلة العدد والسلاح ، ولما حضروا بدرًا ونصرهم الله على المشركين وجاء وقت قسمة الغنائم تنازعوها عليها وظهر على بعضهم عدم الرضا بما فعله النبي فيها ، فسأله بعضهم كيف تقسم ولما الحكم فيها أنتمها جرين أم للانصار أم لهم جميعا ، وغضب آخرون من تنفيله بعض من أحسن في القتال وأعطائه من المغنم زيادة على سهمه ، وتطلع فريق إلى الخمس الذي جعل لله والرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وهذا الاختلاف في أمر تلك الغنائم كان السبب المباشر لنزول تلك السورة ، ولهذا جعل ما عداه مما ذكر فيها من شرح وقائع تلك الغزوة مرتبا عليه في الأول والآخر

فقد ذكر في الاول أنهم سألوه عن قسمة تلك الغنائم
لما حصل في نفوسهم من جهةها فأجابهم على سبيل الاجال
بأن قسمة الغنائم لله والرسول يقسمها على ما يشاء الله ويرى
فيه المصلحة وان كره ذلك من يجهلها . ثم ذكر ما يؤيد
هذا من غزوة بدر وخروجهم لها كارهين جهلا بما كان لهم
فيها من النصر والظفر . وقد ذهب في هذا السبيل ما شاء
ثم رجع الى تفصيل ما أجمله في الاول فبين مصارف الغنيمة
وكيفية قسمتها وأيد كون الخمس لله والرسول بما حصل في
غزوة بدر من امداد الله لهم بالملائكة وغير ذلك مما لولاه
ما تم النصر لهم . وقد مضى هاتفا في شرح ما بقي من
غزوة بدر وما يتعلق بها الى آخر هذه السورة . فهي حينئذ
تنقسم الى قسمين أولهما في تفويض قسمة الغنائم الى الله
وفيما يتصل به من غزوة بدر . وثانيهما في تفصيل قسمة
الغنائم وما يتصل به من تلك الغزوة . وقد ذكرت هذه
السورة بعد سورة الاعراف لان قتل كبار المشركين في
غزوة بدر المذكورة في سورة الانفال كان مما انذروا به في
تلك السورة . فذكرت هذه السورة بعدها كتحقيق لما

أُوعِدَ اللهُ • وَتَصَدِّقُ لِمَا أَخْبَرَ بِهِ

القسم الأول

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِنْفَالِ قُلِ الْإِنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

الآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى

وَأَنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نَعَمْ الْمَوْلَى وَنَعَمْ النَّصِيرُ
(١)

ذَكَرَ أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ عَنِ قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ سَوْأًا لَا نَاشِئًا عَنْ عَدَمِ
إِطْمِئْنَانِهِمْ لِمَا حَصَلَ فِي قِسْمَتِهَا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ فَأَجَابَهُمْ بِأَنْ
قِسْمَةُ الْغَنَائِمِ لَيْسَ مِمَّا يَعْنِيهِمْ وَأَنَّهَا هِيَ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَتَكُونُ
عَلَى وَفْقٍ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَةُ اللَّهِ وَإِنْ جَهِلُوا مَا وَحَصَلَ فِي
نَفْسِهِمْ مِنْ ذَلِكَ مَا حَصَلَ • فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَفُوضُوا إِلَيْهِ
الْأَمْرَ لِيَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا أَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَمَنْفَرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)

ثم أراد اقناعهم بهذا فذكر أنهم خرجوا لغزوة بدر على كره منهم وكانوا يريدون أن يلحقوا بالغير وفيها أربعون فارسا مع أبي سفيان ولا يخرجوا للتنفير وهم ألف مقاتل مع أبي جهل . ويريد الله أن يحق ما أخبر به في سورة الأعراف من قطع دابر المشركين . وقد كان ما اراده الله فأمدم بالملائكة لتطمئن به قلوبهم والقي الرعب في قلوب أعدائهم وأمرهم أن يقاتلوهم زحفاً مترابطين لأنهم كانوا في قلة لا تحتمل تفرقهم . فأحكم تدبيرهم بعد أن أمدم بالملائكة وغيرهم وبهذا وذلك تم لهم النصر وكان الله هو القاتل والرامي . وقد فعل ذلك ليعطي المؤمنين عطاء جيلاً ويوهن كيد الكافرين فيعلموا أن استفتاحهم على المسلمين بأصنامهم لا يفيدهم ويأتي بعكس مرادهم « ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعمد وان تغنى عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين »

ثم أمرهم بعد هذا أن يطيعوا الله والرسول حتى

لا يعودوا الى ما حصل منهم في تلك الغزوة من الخروج لها
 كارهين والاختلاف في قسمة غنائمها . وأن يستجيبوا لله
 والرسول اذا دعاهم للجهاد الذي فيه حياتهم . وان يتقوا
 الخلاف والفتن ويذكروا أنهم كانوا قليلا مستضعفين في
 الارض فأيدهم الله بفضل اتحادهم وطاعتهم لرسولهم . وان
 لا يخونوا الله والرسول في القتال والغنائم ويعلموا أن الاموال
 ليست الا فتنة لا ينبغي الغلو في التطلع اليها . وان التقوي
 والعمل الصالح خير من تلك الاموال وبه ينصرون على أعدائهم
 ويكفر عنهم سيئاتهم (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم
 فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم)

« ٤ »

ثم أمر النبي أن يذكر بعد هذا النصر الذي ناله في غزوة
 بدر حالا من أحراله الاولى اذ كان منيعا في مكة يتأمر أهله
 على قتله أو أخرجه منها . واذا يستهزئون بآيات الله فيقولون
 انما أساطير الاولين ويدعون الله ان كان هذا من عنده ان
 يأتيهم بعذاب اليم . وما كان الله ليعذبهم والرسول بين
 ظهرانيهم والمؤمنون يستغفرون الله بينهم . اما وقد

أخرجوهم من بينهم فقد استحقوا أن يعذبهم الله بسببهم
 للمسلمين عن المسجد الحرام وأخرجهم منه وبما يأتون فيه
 من العبادات الفاسدة لظروفهم به عراء يصفرون ويصفقون
 فلا ينفقوا ما ينفقون من أموالهم في قتال المسلمين فستكون
 عليهم حسرة ثم يغلبون لأن يذهبوا عن كفرهم فيغفر الله
 لهم ولا يسلط عليهم المؤمنين حتى يكون الدين كله لله (فإن
 انتهوا فإن الله عما يعملون بصير وإن تولوا فاعلموا أن الله
 مولاكم نعم المولى ونعم النصير)

القسم الثاني

واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي
 القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما
 أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء
 قدير (الآيات إلى آخر السورة)

• • •

هذا تفصيل لما أجمله فيما سبق من تفويض خمسة الغنائم
 لله والرسول فبين هذا أن أربعة أخماسها للمجاهدين وخمسها

لله والرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
 لا يصح للمجاهدين التطلع اليه بعد ان آمنوا بالله ورأوا
 ما نزله عليهم يوم بدر من الامدادات التى لولاها لما حازوا
 تلك الغنائم التى يطعمون فيها كاهنوا ولا يرضون بقسمة الرسول
 فيها . ففى يوم بدر كان المشركون بالعدوة القصوى بجانب
 الماء والمسلمون بالعدوة الدنيا حيث لا ماء وكانوا كثيرا
 فقللهم الله فى اعين المسلمين وامرهم ان يثبتوا لهم ولا يتنازعوا
 ليقبضوا عليهم . ولا يكونوا كالمشركين فى خروجهم للقتال
 بطرا ورتاء الناس يزين لهم الشيطان اعمالهم ويمدهم بأنه
 لا غالب لهم ويقول انصارهم من المنافقين وقد ايقنوا بهلاك
 المسلمين انهم قد غرهم دينهم فلم يتدبروا فى عاقبة امرهم
 ثم ذكر أنه مع هذا كله ارسل الله عليهم الملائكة
 يضربون وجوههم وأدبارهم وأهلكهم كما أهلك آل فرعون
 ومن قبلهم . وغير ما بهم من نعمة لأنهم غيروا ما بأنفسهم
 كما غير آل فرعون ومن قبلهم (كذبوا بآيات ربهم
 فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا
 ظالمين)

ثم تخلص من هذا إلى بيان أحوال المشركين وما ينزم في قتالهم فذكر لهم حالين أولهما أنهم قد أصرروا على الكفر فلا يرجي منهم أيما إن . وثانيهما أنهم لا وفاء لهم . وكما عاهدوا عهدا نقضوه ولا يبالون . ثم ذكر أن مثل هؤلاء يجب استعمال الشدة في حربهم ونقض ما يخاف نقضه من عهودهم وأعداد ما يستطاع من قوة وخيل لقتالهم . ومع هذا أن جنحوا للسلم وجبت مسالمتهم وأن أرادوا به الخياد واكتسار الوقت لاستئناف الحرب . فإن الله يكفي المؤمنين ضرورهم وينصرهم عليهم كما نصرهم في غزوة بدر مع قتلهم (هو الذي أبدك بنصره وبالمؤمنين والفاء بين قلوبهم ثم أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم أنه عزيز حكيم)

ثم ذكر به أن وعدم بنصره وكفايته أنه يجب أن يثبت منهم كل امرئ لما اتفق من أعدائهم وكل مائة لآلف منهم . ثم خفف عنهم هذا وأوجب أن يثبت كل مائة

للمائتين وكل ألف لافين . ثم وعدهم بالنصر مع هذا أن
صبروا فقال (والله مع الصابرين)
« ٤ »

ثم ذكر أنه أن لا يصح لهم أن يبقوا على المشركين
بالأسر حتى يكثر القتل فيهم ويقبوا عليهم . وعاتبهم على
إطلاقهم أسرى بدر وقبول الفداء منهم ومع هذا أحياه لهم ولم
يرده على أولئك الأسرى سواء منهم من كان على الكفر
ومن كان مسلماً ولم يهاجر وقايل . منهم . ووعد هؤلاء بأنهم
أن كانوا مؤمنين حقيقة فسيؤتيهم الله خيراً مما أخذ منهم
(وان يريدوا اخيانتك فقد خانوا الله من قبل بأمكن
منهم والله عليم حكيم)

« ٥ »

ثم رغب هؤلاء الذين لم يهاجروا في الهجرة بعد أن
رأى ما كان منهم من الخروج مع المشركين لقتل المسلمين
فجعل المهاجرين الأولين والأَنْصَار من الأول والخزرج
بعضهم أولياء بعض . وقطع الولاية بينهم وبين الذين لم
أجروا . — أن لم يكن قطعا تاما . فجوز نصرهم على من

لم يكن بينه وبين المسلمين ميثاق لا على غيره . وقطع الولاية
قطما تاما بين المسلمين والكافرين فجعل بعضهم اولياء بعض
ثم زاد في الترغيب فذكر أن أولئك المهاجرين والانصار
هم المؤمنون حقوا الحق من يهاجر بعدهم فقال (والذين آمنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شئ
عليم)

سورة التوبة

سميت هذه السورة بذلك لأنها نزلت لقطع عهد
المشركين وعدم قبول شئ منهم الا التوبة من شركهم
وقد بلغ المسلمون في وقت نزولها من القوة ما يمكنهم به
ان يجمعوا العرب على دين واحد ويحذوا الشرك من بينهم
فيكون الاسلام هو الدين الوحيد في تلك الجزيرة . وكان
مع المسلمين فيها ثلاث طوائف المشركون واهل الكتاب
والمنافقون . فأمروا ان يقاتلوا الاولين ولا يقاتلوا منهم
الا التوبة من الشرك . وان يقاتلوا اهل الكتاب حتى

ببطا والجزية . وان لا يقبلوا المنافقين بينهم ويعاملوهم
 كغيرهم فتلك ثلاثة مقاصد في هذه السورة
 ولما نزلت هذه السورة لتشريد المشركين والتذكيل
 بهم وتسليط المسلمين عليهم . وكان هذا من تمام ما اوعدهم
 الله به في سورة الاعراف . ذكرت بعد سورة الانفال تكميلا
 لامة مود منها . حتي قال بعض العلماء انهما سورة واحدة

المقصود الاول

برأية من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
 فسيحروا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي
 الله وان الله محزي الكافرين

الآيات الى قوله تعالى

يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس (الآية)

« ١ »

سئل المشركين في تسليط المسلمين عليهم قسمين
 اولهما من كان لا يحافظ على عهد النبي وينوي الخيانة . وهؤلاء
 أمر المسلمون بنقض عهودهم وامهالهم اربعة اشهر . وهي

الاشهر الحرم من يوم الفجر الى العاشر من شهر ربيع الآخر
ثم لا يكون لهم امان فيقتلون ويؤسرون ويحضررون أن
ان تحصنوا و يقعد لهم بكل مرصد. الثاني من حافظ على
عهد النبي ولم ينقصه شيئا وهو لاء أمر المسلمون أن يتنصروا
اليهم عهدهم إلى مدتهم . فإذا انقضت فلا يجدونه لهم .
ويكون حكمهم في عدم الامان كغيرهم . ثم استثنى منهم
من يقصد النبي ليسمع كلام الله ويؤمن أن تقتنع به . فإن آمن
فيها والا وجب عدم التعرض له حتى يصل إلى دار قومه
(وأن احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام
الله ثم ابلغه ما أمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)

« ٣ »

ثم ذكر من تحريفهم عليهم وترغيبهم في قتالهم وتأيد
نقض عهودهم وجوها أولها أنهم أن يظفروا بالمسلمين
لا يرقبون فيهم عهدا ولا ذمة . ومن لم يعترم عهدا لا يحترم
عهده بل يجب قتاله الا ان يقوب ويساعد النبي في الايمان
فيصان دمه كاخوانه في الدين فإن نقض عهد الايمان أهدر
دمه كما كان

ثانيها أنهم نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا
 بنى بكر على خراعة حلفاء النبي . وهم الذين هموا بأخراجه
 من مكة لو لم يخرج بنفسه خفية منهم الخ

ثالثها ان الله ضمن لهم النصر عليهم ليشفى صدورهم
 ويذهب غيظ قلوبهم . ويتوب على من يشاء من المشركين
 اذا شاهد تأييد الله لهم

رابعها أن الله يريد ان يعز الخصاص في ايمانه وهو من
 جاهد في سبيله ولم يتخذ وليجة من دونه ممن لم يخلص في
 ايمانه فينفر من قتال اوليائه من المشركين

خامسها أنهم قوم كفار عبدة اصنام فلا يصح ان يبقى
 مسجدهم الحرام بأيديهم . يقومون بعمارته ويسقون الحاج
 به ويفخرون على المسلمين بتلك الوظائف وهم اولى بها
 منهم . ومع هذا فما هي تلك الوظائف التي يفخرون بها من
 العمارة والسقاية وغيرها بجانب الايمان بالله واليوم الآخر
 والمجاهدة في سبيله . وبجانب ما اعد الله للمؤمنين من
 جنات لهم فيها نعيم مقيم (خالدين فيها ابدا ان الله عنده
 اجر عظيم)

ولما كان المسلمون لهم في المشركين آباء وابناء واخوان
 وبنان يشق عليهم ان يقاتلوهم . وكان لهم عندهم في مكة
 اموال وتجارات يخافون عليها . ذكر انه لا يصح ان تقدم
 القرابة على الدين ولا مصلحة الدنيا على الآخرة . وان
 الله ورسوله اولى بهم من آبائهم وابنائهم وهو الذي نصرهم
 في مواطن كثيرة خصوصا يوم حنين اذا اعجبتهم كثرتهم
 فلم تغن عنهم شيئا ولم ينفعهم الا تأييد الله بجنوده لهم
 وان المشركين نجس يجب التبرؤ منهم ان كانوا اقرباء
 وابعادهم عن المسجد الحرام فلا يقربونه بعد عامهم هذا
 لحج أو غيره . وان خاف المؤمنون من ذلك انقطاع ما كانوا
 يجلبونه في موسم الحج من الارفاق والاكابر افسد
 يغنيكم الله من فضله ان شاء الله عالم حكيم

المقصد الثاني

قائلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا
 يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من

الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
الآيات الى قوله تعالى

أَنَا الَّذِي زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا — الْآيَةُ

﴿ ١ ٢ ٨ ﴾

أمر بقتال أهل الكتاب حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية
وذكر في تبرير قتالهم وجوها أولها أنهم لا يؤمنون بحق
الآيمان بالله واليوم الآخر . ثانيها أنهم صاروا كالمشركين في
نسبة الأولاد لله . فاليهود تقول عزير بن الله كما تقول النصارى
ذلك في عيسى ابن مريم . ثالثها أنهم يؤذون المسلمين
وبريدون أن يطفئوا نور الله وهو دين الإسلام الذي يقفون
في طريقه . وقد أراد الله أن يظهره على الدين كله . ورابعها
أن أحبارهم ورهبانهم يأكلون أموال الناس بالباطل
ويكثرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله (فبشرهم
بمذاب اليم يوم يحمى عليهم في نار جهنم فتكون بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما
كنتم تكثرون)

ثم تكلم عن زمن القتال فأباح للمسلمين أن يقاتلوا في جميع شهور السنة حتى الأشهر الحرم . وقد كانوا يحرمون القتال فيها في الجاهلية ويحلون النفس وهو تأخيرها عن مواضعها في السنة إذا صادفتهم وهم يحاربون أو لم يوافق الحج فيها موسم تجارتهم . فحرم ذلك النبي وقال عنه أنه زيادة في الكفر (يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين)

المقصود الثالث

يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أنفقتم إلى الأرض أرضينكم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل
الآيات إلى آخر السورة

كانت غزوة تبوك التي خرج فيها لقتال الروم في وقت

الضعيف والحر شديد والروم أقوياء ليسوا كغيرهم من قبائل العرب الذين كانوا يقاتلونهم فهناك ظهر المنافقون في ثوبهم الحقيقي وتناقلوا عن الخروج وأثروا في كثير من المؤمنين فتناقلوا معهم واستأذن بعضهم النبي في عدم الخروج فأذن لهم فنزلت هذه الآيات لتوبيخ المتثاقلين المؤمنين كانوا أو منافقين وأمرهم بالجهاد والخروج له ولو ثقل عليهم (خفافا وثقالا) ولم يكن السفر إليه سهلا قريبا (قاصدا) ومعاناة النبي على أذنه لهم في التخلف وكان الأولى عدمه ليظهر نفاقهم وينفضح حالهم . فقد كانوا بحيث يكتفون بالخروج ولم يكن لهم عذر في التخلف عنه . ولكن كره الله خروجهم فثبطهم لانه علم أنهم لو خرجوا لاجتهدوا في تفريق كلمة المسلمين وكانوا عيوننا لا أعدائهم ينقلون أخبارهم اليهم كما كانوا يفعلون قبل تلك الفزوة (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتي جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)

« ٢ »

ثم أخذ في شرح أحوالهم القبيحة وتفصيل أفعالهم الذميمة ليبرر بذلك ما أراده من نبيه هم وعدم قبول نفاقهم

ورفع الأمان عنهم فذكر منهم أنفسهم أولها الذين إذا دعوا
 للقتال ذهبوا إلى النبي ليأذن لهم في عدم الخروج ولا يوقعهم
 في الفتنة وعرضوا عليه في نظير هذا من المال ما ينفعه في
 القتال . فاذا خرج المؤمنون للقتال وأصابتهم حسنة ساءتهم
 فاذا أصابتهم سيئة فرحوا لعدم خروجهم معهم مع أنهم
 لا يصيبهم إلا ما كتب الله لهم من إحدى الحسنيين النصر
 أو الشهادة في سبيل الله . أما هم فالمال الذي قدموه في نظير
 فعودهم لا يقبل منهم ولا يثابون عليه في الآخرة . ثم نهى
 النبي أن يتطلع إلى أموالهم وأولادهم ليأخذ منها مثل ما كان
 يأخذه منهم مما كانوا يظهرون به للمؤمنين خداعاً أنهم منهم
 وما هم منهم ولكنهم قوم يفرقون (لويجدون أجراً أو مغارات
 أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمعون)

« ثانيها »

الذين يلزمون النبي في الصدقات ويقولون أنه يؤثر بها
 أقاربه وأهل مودته مع أنها تصرف معارف معارف لا أثر للهوى فيه
 ولا يأخذها إلا من يستحقها من الفقراء والمساكين
 والعاملين عليها الخ

الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ولا يتدبر فيه . ثم يحلفون مع هذا المؤمنين أنهم منهم ليرضوهم ولو كانوا صادقين في حلفهم لارضوا الرسول الذي يطمنون فيه وهو احق ان يرضوه منهم ولكنهم يفعلون ذلك استهزاء بهم ويحذرون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بحقيقة أمرهم وانهم كاذبون في حلفهم فيفضبون عليهم الخ ثم ذكر انه يجب ان يكون المنافقون بعضهم لبعض لا يصح ان يدخلوا بين الرسول والمؤمنين فيؤذوه ويحاولوا ان يسترضوهم بعد اذائه . بل يجب ان يتركوا وحدهم بأنون منكراهم ويبتخلون بأموالهم وينسئون الله ليمذبهم كما عذب الذين من قبلهم قوم نوح وعاد الاخ وأنه يجب ان يكون المؤمنون بعضهم أولياء بعض فلا يزالون هؤلاء الذين يطمنون في نبيهم ويحاولون مع هذا ان يسترضوهم . واذا كان المنافقون يوالى بعضهم بعضا على الامر بالمنكر والنهي عن المعروف فيجب أن يوالى المؤمنون بعضهم بعضا على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايرحمهم

الله ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار الخ
ثم امر النبي أن يجاهدكم كما يجاهد الكفار لأنهم قالوا كلمة
الكفر (هو اذن) فصاروا مثلهم بل هموا بعالم يقالون من
الفتك برسول الله (وما تقوموا الا ان أغناكم الله ورسوله من
فضله فان يتوبوا يك خيراً لهم وان يقولوا يمدحهم الله عذابا
الباقي الدنيا والآخرة ومالهم في الارض من ولي ولا نصير)
« رابعها »

الذين عاهدوا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن فلما آتاهم
من فضله بخلوا به ثم سخروا من المؤمنين الذين لا يجدون الا
جهدم فيتصدقون منه على قدر طاقتهم سخر الله منهم ولهم
عذاب اليم . فليستغفر النبي لهم اولا يستغفر لهم فلا بد من
عذابهم وان يغفر الله لهم (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين)

« ٣ »

ثم رجع الى اصل الكلام وتخلفهم عن فزوة تبوك
وفرهم به ليرتب عليه تلك الاحكام التي ذكرها . وأولها
أن لا يستصحبهم بعد هذا في قتال أعدائه . وثانيها ان لا يصلي

على أحد منهم مات أبدا . وثالثها ان يكف نفسه عن اموالهم
 فلا يأخذ منها شيئا كما كان يأخذ قبل ان يجاهروا بنفاقهم .
 فليتركهم واموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
 فلا ينفقونها في سبيل الله واذا امر بالقتال اصحابهم اجاءوا
 يستأذنون النبي ليركهم مع النساء والضعفاء (الخوالف)
 (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم
 واولئكَ لهم الخيرات واولئكَ هم المفلحون أعد الله لهم جنات
 تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم)

« ٤ »

ثم اخذ في شرح احوال المنافقين من الاعراب (اهل
 البادية) وكان ما تقدم في منافق المدينة . فذكر أنهم فعلوا في
 تلك الغزوة ما فهمه الاولون فقدموا عنهم بأذن من النبي
 وبلا أذن . ولم يكن لهم في التخلف اعداء حقيقية من
 ضعف أو مرض أو فقر بل كانوا أغنياء رضوا بأن يكونوا
 مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون . فلما رجع
 النبي والمؤمنون من تلك الغزوة سالمين جاؤا إليهم ثانيا
 يعتذرون إليهم ويحلفون لهم ليرضوا عنهم (يحلفون لكم

انرضوا عنهم فأن ترضوا عنهم فأن الله لا يرضى عن القوم
الفاستقين)

« ٥ »

ثم أخذ في شرح أحوالهم بقطع النظر عن هذه الغزوة
كما شرح أحوال منافق المدينة بعد شرح ما فعلوه فيها .
فذكر أن الأعراب أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر .
فمنهم من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بالمومنين الدوائر
عليهم دائرة السوء الا قليل يتخذ ما ينفق قربات عند الله
فأولئك سيدخلهم الله في رحمته مع المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم بأحسن

ومنهم من تغالى في نفاقه ومرد عليه كما مرد منافقوا
أهل المدينة . ومنهم من لم يتغال في النفاق بل خاطهم
صالحا هو خروجه مع النبي في سائر الغزوات . وآخر سيثا
هو تخلفه عن تلك الغزوة مع ندمه عليه وأمره الى التوبة
منه . فهو لاء يرجي أن يقبل الله توبتهم الخ

ومنهم من بقى موقوفا امره لعدم مصادقته الى التوبة
من تخلفه . ككعب بن مالك الذي قال له النبي اعتذر من

صدمك فقال لا حتي تنزل توبتي . فأما يعذبه الله وأما يتوب
عليه والله عليم حكيم . ومنهم الذين اتخذوا مسجدا يضارون
به مسجدا قباء ويفرقون بواسطته بين المؤمنين . وقد
أمر النبي بتخريبه وعدم الصلاة فيه . فإنه لا يصح أن يترك
الصلاة في مسجد أسس على التقوي مع رجال يحبهم الله
ألى مسجد أسست بغيانه على شفا جرف هار فانها ربه في نار
جهنم . ورجال تأصلت الريبة في قلوبهم فلا تزول الا ان
تقطع قلوبهم والله عليم حكيم . فلا يمكن أن يكونوا كقوم
اشترى الله انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل
الله فيقتلون ويقتلون الخ الخ

ثم ذكر انه ما كان للنبي ولا للمؤمنين أن يصلوا في
ذلك المسجد ويستمروا على الاستغفار لاولئك المنافقين
المشركين من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وأن
استغفار ابراهيم لابييه وقد كان مشركا لم يكن الا لانه
وعده أن يؤمن . فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وترك
الاستغفار له . ثم بين أنه لا يؤاخذهم بما كان منهم من
الاستغفار لهم وانه اولى منهم بأن يتخذوه اوليا ونصيرا نقل

(وما كان ليضل قوما بعد اذ هدام) الايتين

« ٦ »

ثم تسكلم فيمن تخلف عن تلك الغزوة من المؤمنين وقد قلنا ان فريقاً منهم تخلف عنها كسلاً وبثأثير المنافقين فلما فرغ من الكلام على المنافقين وذمهم على تخلفهم عنها انتقل الى من تخلف عنها من المؤمنين ومن ضاقت به نفسه وكاد يزيغ قلبه من شدتها فبين أن الله قبل توبتهم مما ساء منهم وخصوصاً الثلاثة الذين خلفوا الخ

ثم أمرهم ان يتقوا الله ولا يعودوا الى التخلف عن الجهاد في سبيله فانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب فيه ولا يتفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الا جازاهم الله عليه أحسن الجزاء . ثم استثنى من ذم التخلف عن الجهاد من يتخلف للتفقه في الدين فقال (ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)

« ٧ »

ثم أمرهم ان يقبلوا أوامرك المنافقين ولا يلبسوا بهم .

ومعهم عليهم بذكر بعض قبائحهم وان منهم من اذا نزلت
سورة يقول لاخراته في النفاق استمراء ايكم زادته هذه
ايانا . او ينظر بعضهم الى بعض لينصرفوا عن سماعها اذا لم
يرهم احدهم المسلمين . ولو كانوا يفقهون ما فعلوا هذا
وشكروا الله الذي ارسل فيهم رسولا منهم حريصا على
ايصال الخير اليهم وهو بالمومنين رؤوف رحيم (فان
تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم)

سورة يونس

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة يونس فيها .
والغرض منها التنويه بشأن القرآن ودفع اعتراضات المشركين
عليه . وتنقسم السورة باعتبار هذا الى قسمين اولهما جاء
في سرد تلك الاعتراضات والجلواب عنها . وثانيهما في
استمالتهم اليه بالترغيب والترهيب . فالاول ببيان فضله
وعظم ما جاء به . والثاني بذكر بعض قصص الاولين وما
حصل لهم بسبب تكذيبهم لرسالهم وتذليل ذلك بما يناسبه

مما ختمت به السورة

القسم الاول

التي تلك آيات الكتاب الحكيم

الآيات الى قوله تعالى

هو يحيى ويميت واليه ترجعون

نوه بشأن القرآن ثم ذكر من اعتراضاتهم عليه وجوها
أولها أنهم تعجبوا ان يوحى الى رجل منهم بما ينذرهم
بيوم يعذبون فيه ويكون للمؤمنين قدم صدق عند ربهم
فهذا لا يكون وانما هو سحر مبين

وقد أجاب عنه بجوابين أولهما ان هذا اليوم ليس
ببعيد على من خلق السموات والارض وبدأ الخلق من العدم
فهو يعيده ليجزى المحسن على احسانه والمسيء على اساءته
ثانيهما ان الله جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل
يعرف بها عدد السنين والحساب وجعل الليل والنهار مختلفين
يعقب كل منهما الآخر. فلو لم يكن كل ذلك سائرا الى غاية
لكان خلقه باطلا ولم يكن له هذه الحركة معنى معقولا.
فالذين لا يرجون لقاء الله بعد هذا ما واهم النار. والذين

يؤمنون به لهم جنات تجري من تحتها الانهار . ثم ذكر ان
 هذا اليوم الذي يستبعدونه في قدرة الله ان يعجله ويهلكهم
 كما هلك الامم القديمة حينما كذبت رسالتها ولكنه اراد
 امهال هذه الامة لينظر ما يكون منها (ثم جعلناكم خلائف
 في الارض من بعدهم لينظر كيف تعملون)
 « ثانيها »

انه اذا تلئت عليهم آيات القرآن الواردة في اثبات
 المعاد واذم آلهتهم طلبوا من النبي ان يأتيهم بقرآن غيره
 ليس فيه تحريف بذلك اليوم . ولا ذم لتلك الآلهة . فرد
 عليهم بأن هذا الكتاب ليس من عنده حتي يكون له أن
 يبدله . ولو كان من عنده ما انتظر حتى بلغ الاربعين بل أتى
 به من قبلها خوفا من الموت قبل اظهاره . على أنه يعلم أن من
 يفترى على الله شيئا فهو أشد خلق الله ظاما ولا ينقص جرمه عن
 جرم من يكذب بآياته . فلا يمكن ان يقدم على افتراء شيء عليه
 ثم ذكر ان تلك الآلهة لا تضرهم ولا تنفعهم فلا
 يصح ان يغضبوا لدمها وقد كانوا قبلها امة واحدة على دين
 أبيهم ابراهيم فاختلفوا عنه اليها (ولولا كلمة سبقت من

ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون)

« ثالثها »

انهم قالوا لو كان من عند الله لكنت له آية عاينه . وقد رد عليهم بأمر أولها انه ليس له من الأمر شيء وإنما ذلك لله ان شاء أنزل ما يظلمونه وان شاء لم ينزله . وثانيها ان الله يعلم انه اذا أنزل آية يكذبون بها لان عاداتهم المكر واللجاج فاذا وقعوا في مصيبة دعوا الله مخلصين حتى اذا انجاهم منها عادوا الى بغيتهم وغرورهم بالحياة الدنيا التي لا يصح لما قبل ان يغتر بها . وهي ليست الا كلام نزل من السماء فاختلط به نبات الارض حتى اذا اخذت زخرفها وظن اهلها انهم قادرون عليها أتاهم امر الله فصارت كأن لم تكن بتلك الزينة وذلك الزخرف . بخلاف الآخرة فانها دار سلام وأمن لمن عمل لها ودار ذلة وعذاب لمن اغتر بالدنيا ونسيها . فهذا لك تمبرأ منهم آلهتهم ويقولون أنا كنا غافلين عز عبادتكم . هذا لك يردون الى الله مولاهم ويضلل عنهم ما كانوا يفترون من آلهتهم . ثم أمرهم بمناسبة ذكر آلهتهم أن ينظروا فيمن يرزقهم من السموات والارض ويعلم السمع والابصار

الخ الخ ليعلموا أنها لا تلك منها شيئا . وانها لا تنفع لها في
الآخرة كما لا تنفع لها في الدنيا

ثالثها ان ذلك الكتاب لا يمكن ان يكون مفترى على
الله والا لامكنهم ان يأتوا بسورة مثله فهو من عند الله
حقا ولكنهم يكذبون بما لم يحيطوا بعلمه او يحيطون به
ويؤمنون باطنا ولكنهم يظهرون الكفر به عنادا .
ويقفون بأزائه موقف الصم الذين لا يسمعون . والحي
الذين لا يبصرون . فويل لهم من يوم يحشرون فيه فينسيهم
هو له سابق معرفتهم فيتمادفون بينهم . هذا بعد ان
ينالهم في الدنيا ما وعدوا به من القتل والاسر ويقضى
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون

فان قالوا متى يكون هذا الوعد واستعجلوه فليعلموا
ان امره مفوض الى الله وله أجل لا يمكن ان يتقدم عنه
أو يتأخر . وانه لا فائدة لهم في استعجاله لانه لا يأتي
الا بعذابهم ولا يقبل منهم أيان فيه

فان أعادوا السؤال عنه بعد هذا وقالوا أحق هو
فليعلموا انه حق بما فيه من عذاب اذا رأوه يتحنون لو ان

لهم ما في الارض ليفتدوا به. وليس ذلك على الله بعزيز وهو
الذي له ما في السموات والارض فلا يكون وعده لاحقا
والكن اكثر الناس لا يعلمون (هو يحيى ويميت واليه ترجعون)

القسم الثاني

يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما
في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
الآيات الى آخر السورة

« ١ »

لما رد اعتراضاتهم على القرآن شرع يرغبهم فيه بأنه
موعظة وشفاء وهدى ورحمة يحمل لهم ما انزل الله لهم من
رزق جعلوا منه حراما وحلالا انتراء على الله الى غير ذلك
من وجوه فضله التي منحهم الله بها ولكن اكثرهم لا
يشكرون ولا يعلمون أن الله مطلع عليهم ولا يعزب عنه
صغير ولا كبير من أعمالهم . ثم نهى النبي أن يحزن لافعالهم
السابقة في القرآن وضمنهم عليه بأعزازهم فأن المزة لله
جميعا لا لهم ولا لما يدعون . من دونه من شركائهم فأن نسبوها

الى الله وقالوا انها ولده فعزتها من عزته فليعلموا ان الله
غنى عن الاولاد التي يفترونها عليه ولا يعلمون ان الذين
يفترون عليه الكذب لا يفلحون (متاع في الدنيا ثم اليها
مرجعهم ثم لذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

« ٢ »

ثم سلك سبيل الترهيب بعد الترغيب فتلا عليهم من
قصص الاولين وما اصابهم بكذب رسالهم قصة نوح مع
قومه وكيف اغرقهم الله لما كذبوا به . وقصة موسى مع
فرعون وكيف اغرقه الله لما كذب به وبوأ بنى اسرائيل
مبشراً صدق من بعده ووزقهم من الطيبينات حتى اختلفوا
على رسالهم فأسمائهم الله بما اصابهم . ثم ذكر ان هذه الامم
انما اهلكها الله لانه علم انهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية
فلم ينشأ آمنوا بهم . ولو آمنوا لخرج قوم يونس (لما
آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم
الى حين)

« ٣ »

ثم رجع الى النبي وقومه فذكر له ان الايمان بمشيئة الله

لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ آيَاتِهِ لَوْ شَاءَ لَهْدَى إِلَيْهِ النَّاسَ جَمِيعًا لَا قَوْمَهُ فَقَطْ . وَهَذِهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ يَنْظُرُونَ فِيهِمَا مَا لَا يَحْصِي مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْكَافِرِينَ مَا تَعْنَى الْآيَاتِ وَالنَّازِعِينَ عَنْ قَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَنْتَظِرُوا إِنَّ يَحْلُ بِهَمَّ مَا حَلَّ بِالَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَغَيْرِهِمْ

ثُمَّ أَمْرُهُ بِمَعْدِ هَذَا أَنْ يَصْرِفَ نَظْرَهُ عَنْهُمْ وَيُعْبِدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَيَتْرَكُهُمْ فِي شِرْكِهِمْ (فَمَنْ اهْتَدَى فَأَنَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأَنَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ . وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)

سورة هود

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة هود فيها . وقد جاءت بعد سورة يونس مكملتها لما ذكر فيها من الكلام مع المشركين ودفع طعنهم على القرآن . ومتممة لما ذكر فيها من اخبار الامم التي كذبت رسلاها مع زيادة بيان في القصتين اللتين ذكرنا في سورة يونس وذكرنا هنا مفتتحا قسم القصص بأولاهما ومختتما بأخراهما دلالة على أن القصص

هنا جاء متمما لما هنالك . وتشتمل هذه السورة على
مقصدين كما تشتمل السورة السابقة

المقصد الاول

الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
الآيات الى قوله تعالى
مثل الفريقةين كالأعمى والأبصير والسميع هل
يستويان مثلاً أفلا تذكرون

« ١ »

ابتدأ هذه السورة كالتى قبلها بأثبات أن القرآن الذى
يطعنون فيه قد احكمت آياته قبل أن تنزل اليهم . فلا يمكن
أن يكون هناك ما يتوجه اليه طعنهم . ثم نزل بعد هذا
مفرقا بحسب الوقائع والاحوال على ما تقتضيه حكمة
الحكيم الخبير . ولا غرض له الا هداية الناس لعبادة الله
وحده ليمتتهم . تعا حسنا ويؤتى كل ذى فضل فضله . فإن
لم ينتهوا يعمذبهم فى يوم يجمعهم اليه وهو على كل شئ قدير .
ويعلم ما يأتونه فى السر والعلن ولم يخلقهم الا ليعلم أنهم أحسن

عملا . والا كان خلقه باطلا . ولكن النبي اذا قال لاوثك
المشركين انكم مبعوثون من بعد الموت يقولون هذا
سحر مبين . واذا أخرج عنهم ذلك اليوم الذي اعد لعذابهم
الى الوقت الذي عينه الله له استهزؤا به وقالوا اذا كانت
صحيحا فما يحبه عنا . وهكذا جرت عادة الانسان اذا
أوقعه الله في الشر بعد الخير تعالى في اليأس والكفر . واذا
أنعم عليه تعالى في النعمة وظن أنه أصبح بئامن من الشر
(الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة
وأجر كبير)

« ٢ »

ولما مهد بهذا أخذ يدفع ما طعنوا به على القرآن من
أنه لو كان من عند الله لكان له دليل عليه فينزل عليه كنز
أو يجيء معه ملك وقد اجاب عن هذا بجوابين أولهما أنه
ليس الا رسولا ولا قدرة له على ايجاد هذه الاشياء .
ثانيهما أنه لو كان ذلك الكتاب مفترى على الله لا تمكنهم
أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات . وهم يعرفون أنهم لا
يمكنهم ذلك ولكنهم آثروا الحياة الدنيا فلم يؤمنوا به ولم

ببخسهم الله فيها شيئاً . أما الآخرة فليس لهم فيها إلا النار
ولا يمكن ان يكونوا كالمؤمنين الذين هم على يقين من
ربهم ويؤمنون بهذا الكتاب أما احزاب المشركين
فيكفرون به وموعدهم النار يوم يمرضون على ربهم ويقول
الاشهاد من الملائكة الذين يحفظون اعمالهم هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم الخ

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأولئك أصحاب الجنة فيها
خالدون (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع
هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون)

المقصد الثاني

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه أنى لكم نذير مبين
الآيات الى آخر السورة

« ١ »

ذكر من اخبار الاوان قصة نوح مع قومه . وقصة
هود مع عاد . وقصة صالح مع ثمود . وقصة ابراهيم مع
الرسل الذين بعثوا لاهلاك قوم لوط . وقصة هؤلاء الرسل

مع لوط وقومه . وقصة شبيب مع أهل مدين . وقصة
 موسى مع فرعون وملئه
 ثم ذكر أنه يقص أخبار تلك القرى وما جرى لها من
 العذاب لتكون آية لمن يطلب أن ينزل عليه كثر أو ملك
 فيما سبق فيخاف أن يعذب مثلهما في يوم يجمع له الناس
 فمن شقي وسعيد . فأما الذين شققوا في النار لهم فيها
 زفير وشهيق . . . (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين
 فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء
 غير مجذوذ)

« ٢ »

ثم ذكر أن حال هؤلاء المشركين كحال تلك القرى
 يعبدون من دون الله ما لا يضر ولا ينفع . وأنه لا بد أن
 يصيبهم من العذاب مثل ما أصابهم . ولولا ما تقدم من حكم
 الله بتأخير عذابهم حتى يؤمن من يؤمن منهم لعجل هذا
 العذاب وقضى بينهم . وسواء آخر هذا العذاب أو قدم
 فلا بد من يوم يجمع فيه الكل ويوفون جزاء أعمالهم (وإن
 كلاً لبالئهم فينهم ربك أعمالهم أنه بما يعملون خبير)

ثم أمر النبي أن يستقيم هو وأتباعه ولا يركن إلى هؤلاء المشركين لئلا يصاب معهم بمثل ما أصيبت به تلك القرى . وأشار إلى أن عدم وجود مثلهم أولى بقية ينهون عن الفساد وترك الاستقامة في تلك القرى كان السبب فيما قضى الله عليهم من العذاب والهلاك . فقد جرت عادة الله أن لا يهلك القرى بالشرك وحده وإنما يهلكهم بترك الاستقامة والافساد في الأرض (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)

ثم أخذ يصبر النبي فذكر أن الله هو الذي أراد أن يشر كوا به ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة فيجب أن يرضى بما أراد الله وإن يكون مثل الرسل الذين يقص عليه أنباء صبرهم على أذى قومهم . بل يجب أن يقول لهم امضوا في أبدانكم واعملوا على مكانتكم وانتظروا أمر الله فيكم فإنه هو الذي يعلم متى يكون (والله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبدوه وتوكل عليه وما ربك بغافل)

عما تملون)

سورة يوسف

ذكر في هذه السورة قصة يوسف مع ابيه واخوته
تكميلاً للقصة التي ذكرت في السورتين السابقتين .
وقد افردت هذه القصة في هذه السورة اهتماماً بها . ويقصد
منها ما يقصد من تلك القصص من التنويه بشأن القرآن
والاحتجاج بها على انه من عند الله لانها من الغيب الذي
ما كان يعلمه النبي وقومه الذين كانوا يجهلون انباء تلك
الشعوب جهلاً تاماً . ولهذا افتتحت هذه السورة

بقوله تعالى

الر تلك آيات الكتاب للبين . انا انزلناه قرآنا عربيا
لعلكم تعقلون

وهو مثل ما افتتحت به السورتان السابقتان للإشارة
الى ان المراد هنا وهناك اثبات ان القرآن الذي يطعنون
فيه من عند الله . كما ذيات هذه القصة بقوله تعالى في

هذه السورة

(ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم
 اذا جمعوا امرهم وهم بمكروا)
 وبقوله في آخر السورة

(لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان
 حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل
 شيء ومدى ورحمة لقوم يؤمنون)

لأقامة هذه القصة دليلا على صحة تلك الدعوى التي
 افتتحت بها هذه السورة . ويمكن أن يقصد منها أيضا
 بطريق العرض ما قصد من القصص السابقة من تثبيت
 قواد النبي وتصديقه على أذى قومه ليكون له أسوة بيوسف
 مع اخوته وفوز عليهم مثل فوزه . ولهذا لم يكدهم يفرغ
 من هذه القصة ويذيلها بما سبق حتي انتقل الى النبي وقومه
 فأخبره بأن أكثرهم بعد هذا القصص العجيب سيمضي في
 كفره ولا يؤمن ولو حرص النبي على إيمانه . وسيعرض
 عن هذه القصة كما يمر على آيات كثيرة في السموات والارض

وهو معرض عنها

ثم ذكر أنه يجب أن يكتبني بارشادهم إلى السبيل الواضحة
(قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة) ولا يحزن إذا
اعرضوا عنها بل يجب أن يكون كأولئك الرسل الذين
أرسلهم الله إلى تلك القرى البائدة التي لا يعقبر هـؤلاء
المشركون بالنظر فيما آل إليه أمرها . كانوا يصبرون على
أذى قومهم وينتظرون وعد الله ولو طال زمنه عليهم (لقد
كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى
والكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون)

سورة الرعد

سميت هذه السورة بذلك لذكر حديث الرعد فيها وأنه
يسبح بحمد الله . ويقصد منها ما قصد من السور الثلاثة
السابقة بأثبت أمور ثلاثة نزل بها القرآن وطعنوا عليه
بسببها وهي التوحيد والمعاد والرسالة . ولذلك افتتحت
بما افتتحت به تلك السور مع تغيير قليل في الالفاظ

وهذه فاتحتها

المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون

وأنه لا شيء في ان ترد سورتان واكثر لغرض واحد
مع اختلاف المسالك كما يرد فصلان أو اكثر من كتاب
في غرض واحد بمثل هذا الاعتبار
وينقسم ما جاء في هذه السورة بعد فاتحتها الى ثلاثة
أقسام . أولها في اثبات التوحيد . وثانيها في اثبات المعاد
وثالثها في اثبات الرسالة

القسم الأول

الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى
على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى
يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تلتقون
الآيات الى قوله تعالى

(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب) الآية

استدل على ان الله واحد بامور ثلاثة اولها يتعلق
 بالاجرام السماوية من رفعه السماء بغير عمد الخ . وثانيها
 يتعلق بالاجرام الارضية من بسطه الارض وانشاء الجبال
 فيها لترسوها ولا تضطرب الخ . وثالثها ان الارض تكون
 فيها قطع متجاورات تنشأ فيها جنات من اغنياب وزرع
 ونخيل وتسقى بها واحد ومع هذا تكون مختلفة الطعم
 واللون والطبيعة . وليس ذلك الا بتقدير الله لا بتأثير
 الافلاك والكواكب التي يعيدها بعض المشركين لان نسبة
 تأثيرها في ذلك واحدة لا تختلف

القسم الثاني

وان تعجب فمعجب قولهم اننا كنا نرايا اثنا في خلق جديد
 الآيات الى قوله تعالى

الله يبدط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا
 وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع

« ١ »

ذكر أنهم يستبعدون أن يمشوا بعد أن تقى أجسادهم

وأنهم يطلبون أن يعجل لهم هذا اليوم الذى يبعثون فيه
 ويذوقون ما أعد لهم من العذاب فيستعجلون ذلك العذاب
 ولا يستعجلون الحسنة من النصر والفوز الذى يكون لهم أن
 آمنوا أو يطلبون أن لم يعجله لهم أن يأتهم بآية تدل على أنه صادق
 فى إنذارهم به . وقد اجاب عن هذا بجوابين اولهما أن الله
 يعلم كل شيء يعلم ما تحمل كل اثنى وما تفيض الارحام وما
 تزداد الخ . فإذا تفرقت اجزاء الميث فهو يعلم أين تفرق
 ويقدر على جمعها . وثانيهما أن الله قادر على ان يعجل لهم
 ذلك العذاب ولكن ارادته قضت ان لا يغير ما يقوم حتى
 يغيروا ما بأنفسهم ولا يرجي صلاحهم . واذا أراد الله يقوم
 سوء فمن ذا برده أو يقدر على دفعه من آلهتهم وهو الذى
 بيده أمر البرق والرعد والصواعق ونحوها من آلات
 العذاب يصيب بها من يشاء (وهم يجاولون فى الله وهو
 شديد المحال)

« ٢ »

ثم معنى فى بيان كمال قدرة الله وعجز آلهتهم فذكر ان
 الله هو الذى يدعى فيجيب اما آلهتهم فلا يستجيبون لهم

بشيء مكن يدعو الماء ليبلغ فاه وهو جمد فلا يجيب . وأنه
يسجد له من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم
بالندو والاصال دون آلهتهم الخ

ثم ضرب مثلا للايمان والشرك البصر والعمى والنور
والظلمة والماء والزبد الذي يطفو عليه ثم يذهب جفاء ويبقى
الماء الذي ينفع الناس في الارض . فلا يمكن ان يستوى
الايمان والشرك ولا المؤمن والكافر . فالؤمنون الذين
استجابوا لربهم اهم الحسنى وزيادة والذين لم يستجيبوا له
ينالون من العذاب ما لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا انفسهم به الخ وانما يبسط لهم الرزق في الدنيا
لانه لا تعلق له بالايمان والكفر (الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في
الآخرة الا متاع)

القسم الثالث

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله
يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب

الآيات الى آخر السورة

ذكر أنهم طلبوا أن يأتيهم بمعجزة غير القرآن وقد
أجابهم عن هذا بأربعة اجوبة أولها ان الاضلال والهداية
من الله لا بالآيات التي يقترحونها . فالذين أراد الله ضلالهم
لا يؤمنون به ولو أجيبوا الى ما اقترحوا . والذين أراد الله
هدايتهم يكتفون بمعجزة القرآن وتطمئن به قلوبهم
ثانيها ان الله قد أرسله في أمة تختلف في حالها ومزاجها
عن الامم التي خلت من قبلها . فلا تناسبها الا بمعجزة القرآن
الذي يتلوه عليهم ليعجزهم بالفصاحة التي امتازوا بها عن غيرهم
من الامم التي أتت اليهم معجزات رسالهم من جنس ما امتازوا
به . وهذا القرآن الذي لا يرضون به لو أن قرآن سيرت به الجبال
أو قطعت به الارض أو كلسم به الموتى لم يكن غيره . فاذا لم
يرجعوا عن تكذيبه فان الله يسلط عليهم المؤمنين فتذهب
سراياهم الى ديارهم أو الى الديار القريبة منها فتختطف منهم
وتصيب من مواشيهم حتى يأتي وعد الله بالنصر التام فيأخذهم
كما اخذ من قبلهم ممن كانوا يستهزئون برسالهم بعد أن
أمل لهم . وأنهم بعد ذلك في الآخرة عذابا شديدا مما ينالهم

في الدنيا وللوّٰثمين ما وعدهم الله من الجنة (تلك عقبي الذين
اتقوا وعقبي للكافرين النار)

ثالثها ان ذلك القرآن يعرف انه من عند الله اهل الكتاب
يفرح به من آمن منهم وينكر بعضه عنادا من لم يؤمن
منهم لان فيه من ابطال عبادة الاصنام ما لا يمكنهم ان ينكروه
ورابعها ان الله انزله حكمة عربية ظاهرة وانما ينكرونها
عنادا ويطلبون غيرها من الآيات انبعاثا هو اثمهم التي لا يصح
للنبي ان يتبعهم فيها وقد ارسل الله قبله رسلا كانوا بشرا مثله
وما كانوا يأتون الا بالآيات التي يأذن بها الله لا التي يريدونها
اقوامهم . وان لا آيات العذاب التي يطلبونها اجالا مكتوبا
لا تتقدم عنه وقد يأتي بعضها في حياة النبي ويأتي بعضها
بعد وفاته . وقد ظهرت علاماتها بتسليط المؤمنين على
الكافرين يأتون ارضهم فياقتلون من اطرافها وسبيهم
الكفار لمن عقبي الدار (ويقول الذين كفروا لست مرسلنا
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)

سورة ابراهيم

سميت هذه السورة بذلك لما فيها من ذكر ابراهيم
ويقصد منها ما قصد بالسورة السابقة من الدعوة الى الايمان
بالقرآن ولهذا افتتحت بمثل ما افتتحت به تلك السورة وتنفسم
باعتبار هذا الغرض الى ثلاثة أقسام اولها في انذارهم من
الكفر به بعذاب الآخرة . وثانيها في ذكر بعض ما جرى
للأمم السابقة بتكذيب رسالها لانذارهم به بعد انذارهم
بذلك . وثالثها في تهوين امرهم على النبي وبيان انه سيحبط
اعمالهم كما احبط أعمال من قبلهم

القسم الاول

الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات
الى النور
الآيات الى قوله تعالى
(ونما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) الآية
ذكر وظيفة القوآن وانه لا غرض له الا هدايتهم .
وحذرهم من عذاب الآخرة التي يستحبون الدنيا عليها .

وبين لهم ان هذه كانت وظيفة كل رسول مع قومه
يبعث اليهم بمثل هذا القرآن ليهديهم « فيضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم »

القسم الثاني

ولقد ارسلنا موسى بآياتنا اذ اخراج قومك من الظلمات
الى النور

الآيات الى قوله تعالى

يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو
بميت ومن وراءه عذاب غليظ

ذكر لهم قصة موسى مع قومه ونبههم الى انباء من قبلهم من قوم
نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كانت تأتيمهم رسالهم بالبينات
فيردون أيديهم في أفواههم ويكفرون بما أرسلوا به ويشكون
في وجود الله الذي يدعونهم اليه وهو فاطر السموات والارض
ويقولون لهم انتم بشر مثلنا فلم تمازونا بالرسالة علينا . ثم
آذوهم وحاولوا إخراجهم من أرضهم فاهلكهم الله واسكن
رسله الارض من بعدهم . وهكذا يخيب كل جبار عنيد (من
وراءه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه) الآية

القسم الثالث

مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرهة واشتدت به الرياح
في يوم عاصف لا يتذكرون مما كسبوا على شيء
الآيات الى آخر السورة

(١)

لما فرغ مما تقدم شرع يهون عليه أمر قومه ويبين
أن الله سيحبط أعمالهم كما أحبط أعمال من قبلهم وينصره عليهم
ثم بين له أن الذي خلق السموات والارض قادر على هذا
بل أن يشأ يذهبهم ويأت بخلق جديد ثم بيئهم اليه فيقول
ضعفائهم للذين استكبروا هل انتم تغنون عنا من عذاب
الله من شيء وقد كننا لكم تبعاً فيعتذرون اليهم بأن الله لم
يشأ هدايتهم ولو شاء لا هتدوا وهدوهم أما الشيطان الذي
أضلهم فيقول لهم لا تلوموني ولوموا انفسكم ما أنا بغيثكم من
عذاب الله وما انتم بغيثي انى كفرت بما أشركتمونى من قبل
ان الظالمين لهم عذاب أليم (وادخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بأذن
ربهم يحييهم فيها سلام)

(٢)

ثم ضرب مثلاً للمؤمنين وثبات امرهم وللكافرين
وحبوط اعمالهم فجعل المؤمنين كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها
في السماء فلا يخشى عليها من شيء . وجعل الكافرين كشجرة
خبيثة اجتثت من فوق الارض ليس اصل ولا عرق ومالها
من قراد (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)

(٣)

ثم بين أنهم يستحقون ذلك لانهم بدلوا نعمة الله
كفرا . فقد أسكنهم الله مكة التي دعاها ابراهيم بالامن وسعة
الرزق وأن يجنبها عبادة الاصنام فعبدوها وجعلوا لله أنداداً
ليضلوا عن سبيله فليمتنعوا فان مصيرهم الى النار . وليقيم المؤمنون
بالصلة لله وينفقوا مما رزقهم الله الذي خلق السموات
والارض . . . « وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها ان الانسان لظلم كفار »

(٤)

ثم ذكر دعاء ابراهيم لاهل هذا البلد تفصيلاً بعد

الاشارة السابقة اليه وختمه بقوله « ربنا اغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب »

(٥)

ثم بين للنبي ان الله ليس بغافل عما يعمل أولئك
المشركون وانما يؤخرهم ليوم تشخص فيه ابصارهم الخ فيجز بهم
الله بما كسبوا ان الله سريع الحساب « هذبلأغ للناس ولينذروا
به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولو الألباب »

سورة الحجر

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة أصحاب الحجر
فيها . والغرض منها التنويه بشأن القرآن أيضا . وينقسم
ما جاء فيها إلى مقصدين وخاتمة . فالمقصود الأول في التنويه
بشأن القرآن ونحو يفهم من التكذيب به وتصيير النبي على
استهزائهم به كما صبر غيره من الرسل على استهزاء شيع الأولين
بهم . والمقصود الثاني في بيان أخبار تلك الشيع وما جرى لهم
بسبب تكذيب رسالهم . والخاتمة في ان ما حصل لتلك الشيع
سيحصل مثله لأولئك المشركين

(المقصد الاول)

التي تلك آيات الكتاب وقرآن مبين
الآيات الى قوله تعالى

لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين

(١)

ذكر ان القرآن الذي انزل اليهم من البيان بحيث
لا ينكره الا جاحد وانه سيأتي يوم يودون فيه لو كانوا قد
آمنوا به . ثم أمر النبي ان يتركهم يأكلون ويتمتعون ويلهون عما
قدراهم في كتاب معلوم (ما سبق من أمة أجلا وما يستأخرون)

(٢)

ثم ذكر أنهم استهزؤا بالنبي حين أنذرهم بهذا ورموه بالجنون
وطلبوا منه أن يأتيهم بالملائكة دليلا على صدقه . فاجابهم بأن ذلك
لا يكون الا عند حصول الفائدة وقد علم الله انهم لا يؤمنون
اذا أنزلوا . ثم أشار إلى أن تلك السفاهة عادتهم من قديم إذ
لم يرسل رسولا في شيع الاولين الا كانوا به يستهزئون .
وكذلك اراد الله ان يسلك هذا القرآن في قلوب هؤلاء
المشركين مقرونا بالاستهزاء فلا يؤمنون به ولو فتح الله

عابهم يا ابا من السماء فظلوا فيه يعرجون « لقالوا انما سكرت
أبصارنا بل نحن قوم مسحورون »
« ٣ »

ثم ارشدهم الى ما هو اهدى من انزال الملائكة من
خلق البروج في السماء وتزيينها للناظرين ومن بسط الارض
وانبات كل شيء موزون فيها ومن خلق الانسان من
صلصال من حمأ مسنون وخلق الجن قبله من نار السموم .
ثم ذكر كيف خلق الانسان « آدم » من صلصال تفصيلا
لذلك الاجال . وكيف امر الملائكة بالسجود له فوجدوا الا
ابليس ابي أن يكون من الساجدين . وكيف سلطه الله على
من اتبعه من الغاوين الذين أعد لهم جهنم وجعل لها سبعمة
ابواب لكل باب منهم جزء متقسم . أما المتقون ففي جنات
وعيون « لا يمسه فيها نصب وما هم منها بمخرجين »

المقصد الثاني

نبي عبادي أني انا الغفور الرحيم
الآيات إلى قوله تعالى
فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون

ذكر في هذا تفصيل ما أجله سابقا من اخبار شيع
الاولين بعد تمهيد ذكر فيه انه الغفور الرحيم وان عذابه هو
العذاب الاليم ليعلم ان ما صاب تلك الشيع من العذاب لا قسوة
فيه لان الله كما انه غفور رحيم ذو عذاب اليم . فهو رحيم
بعباده المؤمنين . وذو انتقام شديد على الكافرين فشرح قصة
رسل الله مع ابراهيم وقد بعثهم الله لاهلاك قوم لوط
الخ الخ . وقصة اصحاب الالبكة مع نبينهم شعيب . وقصة اصحاب
الحجر مع نبينهم صالح وقد كذبوا به فاخذتهم الصيحة مصبحين
(فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

الخاتمة

وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان
الساعة لا تية فاصفح الصفح الجميل
الآيات الى آخر السورة

ذكر ان اليوم الذي انذرهم به فاستهزؤا لا بد من
اتيانه لانه لم يخلق السموات والارض الا بالحق وبدونه
يكون خلفها باطلا . ثم امر النبي ان يصفح عنهم بعد هذا
ولا ينظر الى ما تمتعوا به في الحياة بعد ان اعطاه خيرا من

ذلك سبعا من المثاني والقرآن العظيم . وان ينذهم عذرا
كالذي انزله على المقتسمين الذين اقتسموا القرآن فجعلوا بعهده
سحرا وبعضه شمرا كالوليد بن المغيرة وغيره . وان لا يضيق
صدره بهم بل يجب ان يحمد الله ويكون من الساجدين
(واعبد ربك حتى ياتيك اليقين)

سورة النحل

سميت هذه السورة بذلك لذكر بعض أحوال النحل
فيها . ويراد منها اثبات الاصول الثلاثة « التوحيد والنبوة
والمعاد »

وقد افتتحت هذه السورة بآيتين تضمنتا هذه الاصول
الثلاثة كتمهيد لما ذكر بهما في اثباتها ومجادلة المنكرين لها
واختتمت بالاشارة إلى أن مناجاة النبي في ذلك هو دين
ابراهيم الذي هو بمنزلة الاصل لغيره من الاديان . وتعليم
النبي آداب الدعوة والمجادلة التي ذكر بعضها في هذه السورة
وبهذا ينقسم ما جاء فيها الى تمهيد ومقصد وخاتمة يعنى في كل
منها بما أشرنا اليه

النميمة

أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون
« الآيتين »

تضمنت هاتان الآيتان ثلاث قضايا بمقدار تلك
الاصول الثلاثة . اولها ان يوم القيامة أصبح قريبا وأمره
بيد الله فلا يصح لاحد استعجاله لانه لا شريك له في افعاله
الثانية أن النبوة حق والله ينزل الملائكة بالروح على من
يشاء من عباده . والثالثة أن الله لا اله غيره

المقصد

خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون
الآيات الى قوله تعالى

ثم ان ربك الذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد
ذلك وأصلحوا أن ربك من بعدها لغفور رحيم

« ١ »

ابتدأ بذكر ادلة التوحيد في خلق السموات والارض
وفي خلق الانسان من نطفة وفي خلق الانعام للبشر وفيها
حرفاء لهم ومنافع كثيرة . وفي خلق الخيل والبغال والحمير

ليركبوها وتكون لهم زينة . ثم اشار الى ان ذكر تلك الادلة
يراد به قطع عذرهم والا فالهداية الى الطريق القويم من الله
ولو شاء لهداهم اجمعين . واستأنف بعد هذا سرد تلك الادلة
فذكر انزال الماء من السماء للشرب وسقي الشجر والريح الى
غير ذلك مما تفرد بخلقه ولا يصح معه ان يكون مثله في
الالوهة من لا يخلق من اصنامهم . والله مع هذا يعلم باطن
الانسان وظاهره وهي لا تعلم شيئاً بل هي مخلوقة له وجماد
لا يشعربشئ . فالله واحد لا اله غيره وانما اصرأوا تلك الكفار
على الشرك لانهم لا يؤمنون بالآخرة وينكرون كل ما
يخالف اوهامهم ويستكبرون ان يرجعوا الى قول غيرهم « لا جرم
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين »

٢

ثم ذكر من شبهاتهم على النبوة طعنهم على ما نزل على
النبي بأنه من اساطير الاولين ولم يجب عن هذه الشبهة هنا
لانه اجاب عنها في سورة اخرى بل اقتصر على تهديدهم على
ذلك بأنهم يحنون على انفسهم به ويحملونها من الاوزار ما تنوء
به ثم لا يكون الا ان الله يعذبهم عليها في الدنيا ويخزيهم يوم

القيامة . اما الذين قالوا فيها انزل الله خيرا فلهم في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة . فليتنظروا ثواب المشركون ان تأنيبهم للملائكة
بذلك المذاب أو يأتي أمر الله به كذلك فويل للذين من قبلهم
« فأصـابهم سيئات . اعملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون »

(٣)

ثم ذكر شبهة ثانية وهي انهم قالوا ان الایما الذي يدعو اليه
والكفر الذي ينهى عنه بمشيئة الله ولا معنى مع هذا لارسال
نبي . وقد اجاب عنها بأن وظيفة النبي التبليغ والارشاد آمن
من يباغهم أو لم يؤمنوا . وقد بعث الله الى هذه الامة كما بعث
في كل أمة رسولا لارشادها فمنهم من اراد الله هدايته فاهتدى
ومنهم من حقت عليه الضلالة فلم يمكن أن يهتدى (ان تحرص
على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين)

(٤)

ثم ذكر أنكارهم للمعاد وشبهتهم فيه أنه لا يمكن بعث
الشخص بعد موته وتفرق أجزائه . وقد اجاب عن هذا
بجوابين أولهما أن البعث لا بد منه ليتبين الحق من الباطل
ويعلم الكافرون انهم كانوا كاذبين . وثانيهما أن الله قادر على كل

شيء يقول للشيء كن فيكون . ثم ذكر جزاء المؤمنين بعد الكافرين وأن لهم في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة اكبر منها . فهم «الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون»

« ٥ »

ثم استأنف الكلام في النبوة فذكر شبهة اخرى وهي أنهم قالوا ان الله لا يبعث رسولا من البشر . وقد أجاب عنها بأن الله لم يبعث قبل النبي الارجال مؤيدين بالبينات والزيبر ثم هداهم على هذا المكر والكيد بأموار أربعة ان يخسف بهم الارض ألخ ألخ: .. ولفت نظرهم الى قدرة الله على ذلك بخضوع كل شيء له في السموات والارض (من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)
الرد على الثنوية

(١)

ثم استأنف الكلام في التوحيد والرد على الثنوية وعباد الملائكة بمد أن رد فيما سبق على عباد الاصنام فهي الاولين ان يتخذوا الهين اثنين اله الخير واله الشر لان كل شيء في السموات والارض لله فما بهم من نعمة فمنه وما يصيبهم من

شر لا يتوجهون في كشفه إلى غيره . وذم عباد الملائكة وتمثيلها
على إطلاقهم لها البجائر والسوائب وجمعها بنات لله في حين
أنهم يكرهون البنات لأنفسهم (والله المثل الأعلى وهو
العزیز الحكيم)

« ٢ »

ثم بين أن هذا ظلم وفسمة ضيزى أن يجعلوا الله ما يكرهون
من البنات . وتصف السنتهم الكذب أن لهم الحسنى من
البين . وإن الله لم يشأ أن يؤاخذهم عليه في الدنيا وإنما أجل
ذلك إلى الآخرة . وإن مثل هذا الجهل حصل من أسلافهم
قدما مع رسلهم إذ بعثهم الله إليهم فتولوا عنهم وزين لهم الشيطان
أعمالهم « فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم . وما أنزلنا عليك
الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة
للقوم . ومنون)

(٣)

ثم ذكر دلائل التوحيد ردا على الفريقين من أنزال الماء
من السماء لأحياء الأرض بعد موتها : ومن خلاف الأنعام ليستقيمهم
من البانها إلى غير ذلك مما من الله به على عباده من النعم التي

يكفرون بها . ويعبدون من دون الله مالا يملك شيئاً منها .
 مما يجعلونه مثيلاً لله الذي يتنزه عن الامثال . فهل يكون
 من لا يملك شيئاً كمن يملك رزقاً حسناً ينفق منه سرا وجهراً .
 وهل يكون الا بكم الذي لا يقدر على شيء وانما يتوجه
 لا انى بخير كمن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم . وكيف
 يكون له مثيل من آلهتهم وهو الذي يعلم غيب السموات
 والارض ومنه الساعة التى أصبح أمرها كلمح البصر . وهو
 الذى أخرجنا من بطون امهاتنا لانعلم شيئاً الخ لافاذاكفروا
 به بعد هذا فقد جبنوا على انفسهم اذ يعرفون نعمة الله ثم
 ينكرونها ويكفرون بها فلينتظروا يوم نبعث من كل امة
 شهيداً عليهم ثم لا يؤذن للكافرين فى الكلام ولا يسترضون ...
 يوم نبعث من كل امة شهيداً عليهم من انبيائهم ويحاج بالنبى
 شهيداً على امة وقد قطع عذرهم ونزل عليه الكتاب (تبياناً
 لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)

(٤)

ثم فصل هذا الاجال وبين كيف كان تبياناً لكل شيء
 فذكر انه امر بالعدل ويندرج فيه كل الفروض . وبالا حسان

ويندرج فيه كل التوافق ومنها صلة الرحم ، وانه نهى عن
الفحشاء وهو مقتضى القوة الشهوانية . وعن المنكر وهو مقتضى
القوة الغضبية : وعن البغى وهو مقتضى القوة الوهمية . فكان
بهذا جامعا لما يتصل بالتكليف فرضا ونفلا وما يتصل بالاخلاق
عموما وخصوصا . ثم امر بالوفاء بالعهد وهو اصل عظيم يندرج
تحتة كثير من الفروع . والعهد اما ان يكون بين الله والناس او
بين الافراد بعضهم مع بعض او بين أمة واخرى فلا يصح لامة
قوية ان تنقض عهد امة ضعيفة لانها تخالفها في دين او غيره
فان هذا الخلاف بأرادة الله ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة
ثم نهاهم أن يعقدوا الايمان على عزم نقضها فتكون على دخل
وان يشتروا بها ثمنا قليلا لا يساوى ما عند الله لمن يفي بعهده
ووعده الذين يصبرون على عهودهم ان يجزيهم اجرهم بأحسن
ما كانوا يعملون (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون)

(٥)

ثم انتقل من هذا التفخيم للقرآن الكريم الى دفع
ما عندهم من شبهات يلقيها الشيطان في قلوبهم اذا نظروا فيه ومهد

لهذا فأمر قارئه ان يستعيد بالله من الشيطان لئلا يتولاه
كما يتولى اولئك المشركين فيحول يده و بين الايمان به
بمثل هاتين الشبهتين. واولاهما انهم اذا رأوا آية تنسخ بأخرى
قالوا هذا من عند النبي جهلاً بحكمة النسخ. وقد أجاب عن هذا
بأن النسخ له حكمة يعلمها الله ولا يكون الا لمصلحة الناس
الثانية ان بعض المرتدين قالوا ان الذي يعلمه هذا القرآن
سلمان الفارسي . وقد أجاب عن هذا بأنه اعجمي لا يمكن
ان يأتي بهذا القرآن العربي . ولكن من لا يؤمن بآيات الله
لا يهديه الله وله عذاب اليم . وهو الذي يكذب على الله لا
من يؤمن به . وهو الذي كفر بعد ايمانه قال كذب ليس يبعد
عاليه . وقد استثنى من هذا من اكره على الكفر وقلبه مطمئن
بالايمان فليس هذا من شأنه الكذب . اما من شرح بالكفر
صدراً فمليه غضب من الله وهو في الآخرة من الخاسرين . وهذا
مخلاف الذين هاجروا من بعد ما اكرهوا على الكفر فان الله
يغفر لهم (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل
نفس ما عملت وهم لا يظلمون)

(٦)

ثم ضرب الله التأييد استحقاقهم ذلك العذاب من الاقرية
كانت ائمة مطمئنة بانهم رزقوا من كل مكان فقابلت ذلك
بالكفر فاذاقها الله ايس الجوع والخوف . وبحث فيها رسولا
من اهلها فكذبوه فاخذهم العذاب بما كانوا يظلمون . وهذا
الوصف يطبق على مكة واهلها . ولذلك امرهم ان يتركوا
ذلك الكفر ويقالوا ما انعم الله على قريتهم بالشكر فياكلوا
مما رزقهم الله حلالا طيبا ما لم يكن ميتة او دما او نحوها .
ولا يقولوا هذا حلال وهذا حرام كذبها على الله فهو لم يحرم
من ذلك شيئا الا على اليهود جزاء بغيمهم (ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصابحو ان ربك
من بعدها لغفور رحيم)

الخاتمة

ان ابراهيم كان امة قادا لله حنيفا ولم يك من المشركين
الايات الى آخر السورة

ثم ذكر ان ذلك الشرك ووجد النعم لم يكن دين ابراهيم
ابراهيم وان الله لم يرسل اليهم هذا النبي الا ليرجع بهم الى

حلتها ومنها تعظيم يوم الجمعة لأن يوم السبت لم يشرع إلا
لليهود ومع هذا نقضوا عهد الله واحلوا الصيد فيه . ثم أمر
النبي أن يجادلهم بالحسنى وأن لا يشتم عليهم إذا ظفروا بهم
ويصبر على أذاهم ولا يكن في ضيق مما يمكرون » ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون »

سورة الاسراء

سميت هذه السورة بذلك لابتدائها بذكر قصة الاسراء . وهي
واردة ايضا في بعض الغرض الذي سيقف له السورة السابقة
مع تصرف في المعاني والالفاظ . وتتن في سوق الادلة ودفع
الشبه . وقد جاء أولها في دعوتهم الى الايمان بالنبي . وآخرها
في دفع بعض ما عندهم من شبه في نبوته أو فيما جاء به . وبهذا
تنقسم هذه السورة الى قسمين

القسم الاول

سبحان الذي اسرى بعبد له من المسجد الحرام

الايات الى قوله تعالى

نسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وأن

من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان
حليماً غفوراً

(١)

ذكر في دعوتهم الى الايمان بالنبي اصرين اولهما انه اسرى
به ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى واخبرهم في
النهار بما شاهد فيه وهذه معجزة من جنس المعجزات التي
يطلبونها . ثم ذكر فضل المسجد الاقصى وانه بارك حوله
واقي موسى التوراة فاهتدوا بها واستقام لهم الامر حتى ضلوا
فسلط الله عليهم قوماً اولى بأس شديد جالسوا خلال ديارهم
وخرّبوا ذلك المسجد . ثم سلطهم عليهم ثانياً ليسوّوا وجوههم
ويدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما عملوا فتيهاً
(نسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين
حصيراً)

(٢)

ففيها انه جاء بالقرآن الذي يهدي للتي هي اقوم ثم اهدى اليه
التوراة . ومع هذا يدعون ان يحطر الله عليهم حجارة من السماء
او غير ذلك من آيات العذاب والشر وعندهم آية الليل والنهار

تغنيهم عن تلك الآيات وقد فصل الله كل شئ محتاجون اليه
في معرفة الحق تفصيلا لا عذر لهم . فكل انسان
مسؤول عن اعماله ولا تزر وازرة وزر اخرى . وما كان الله
ليمليهم بما يظلمونه حتى يبعث اليهم رسولا ويكثروا من
الفسق والمجور فيدمرهم تدميرا . فأن الله يمتع للكافر اذا اراد
المهلة حتى يكثف فسقه : ومن اراد الآخرة وسعى لها سكر
له سعيه . فيمد كلا منهما بما يريد وما كان عطاء الله معظوداً
(أنظر كيف فضانا بعضهم على بعض والآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا)

(٣)

ثم فصل ذلك الاجمال المذكور في قوله ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم . فذكر من الاحكام التي جاء بها التوحيد
وتحريم عبادة الاصنام . والاحسان الى الوالدين والاقرباء
والمسكين وابن السبيل في غير تهذيب ولا تقدير . وتحريم قتل
الاولاد خشية الفقر وتحريم الزنا والقتل والاسراف في القصاص
واكل مال اليتيم . ووجوب الوفاء بالعهود الى غير ذلك مما اوحى
الى النبي من الحكمة . ومنه تحريم اتخاذه آخر مع الله من

الملائكة التي يقولون عنها انها بنات الله وابطلت عبادتهم في السورة السابقة وانما اعيد ذلك هنا لان القرآن من سنته تصرف البيان للناس ليتمظوا وبتذكروا . ولو كان مع الله الهة من تلك الملائكة لتنازعوا معه مع ان كل شئ خاضع له من السموات السبع والارض ومن فيهن (وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا)

القسم الثاني

واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا

الايات الى آخر السورة

قلنا ان القسم الثاني في دفع الشبه وقد مهد لذلك ببيان سببها وهو عدم فهمهم للقرآن ونفودهم من التوحيد واتباع النبي الذي كانوا يزعمون انه مسحور اختلط عليه عقله بعد ان زعموا انه ساحر ، ضربوا له الامثال فضلوا فلم يتمكنهم الله بهتدوا الى سبيل في امره . ثم ذكر شبهتين اولاهما فيما جاء به من البعث . وقد اجاب عنها بما اُجاب ثم امر ان لا يقابل هؤلاء المشركون على تلك الاسماء من رمى النبي بالسحر وتكذيبهم

له في البعث بمثلها بل بقولوا التي هي احسن منكم اعلم بكم ان يشأ
 برحمتكم وان يشأ يمدكم فاذا اراد عذابهم فان الله تعالى لا يستطيعون
 ان يكشفوا عنهم لانهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه مثلهم
 وان عذاب الله حقيق بان يحذره كل احد وما من قرية كافرة
 الا يصيبها قبل يوم القيامة شئ مما منه (كان ذلك في الكتاب
 مسطورا)

والذانية في رسالته وان ايس له معجزات كغيره من
 الانبياء . وقد اجاب عنها بان الله لم يرسله بتلك الآيات لانه
 علم انهم يكذبون بها كما كذب بها الاولون الخ وكما كذبوه
 حين اخبرهم بمصارعهم يوم بدر فصرعوا وحين اسرى به
 ورآى من آيات ربه ما رآى فلم يؤمنوا وجعل الله هذه الرؤيا
 فتنة لهم كما فتنوا بشجرة الزقوم أيضا فقالوا كيف تحرق جهنم
 الحجر ويكون فيها شجر . وأيضا قدرأى ابليس من آيات
 ربه ما رآى ومع ذلك امره بالسجود لآدم فمضى حسدا له
 وهو لاء المشركون يحسدون النبي فلا يمكن ان تؤثر فيهم
 تلك الآيات

ثم ذكر ما يدل على قدرة الله على ارسال تلك الآيات

وأهلكهم بها من البحار التي خلقها لهم ولا يستغنون عن سير
السفن فيها فهو بقدر ان يغرقهم فيها ولا يجدون غيره ينقذهم
من الغرق الخ ولكنه لم يرد ذلك رافة بهم بل كرههم وحملهم
في البر والبحر آمنين وفضاهم على كثير من خلقه في الدنيا
ويوم القيامة يدعو الله كل أناس مع نبيهم (فمن أوتى
كتابا يمينيه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يغالون فتيلًا. ومن
كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل - بيلا)

ثم ذكر انهم كادوا يستفزون بالترغيب الى طلب تلك
الآيات عن القرآن الذي هو معجزته ليفتري على الله شيئًا
غيره يؤمنون به لولا ان ثبته الله كما ثبته على ما استعملوه معه
من الترهيب وقد كادوا يخرجونه من مكة لولا ان منهم الله من
اخرجه حتى أمره بالخروج. ولوانهم أخرجوه لاهلكهم الله كما
أهلك من قبلهم حينما أخرجوا رسلكم من ديارهم (سنة من قد
ارسلنا قبلك من رسلنا ولا نجد لسننتنا تحويلا)

ثم أمره ان لا يلتفت اليهم ويشغل بعبادة الله من الصلاة
والتوجه الى الله بالدعاء ليدخله اذا خرج من مكة مدخل صدق
ويخرجه مخرج صدق ويحمل له من عنده سلطانا نصيرا (وقل

جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا (ثم ذكر من فضل القرآن مالا يصح معه ان يعدل عنه إلى تلك الآيات . فهو شفاء للناس ودرجة المؤمنين ونعمة عظيمة والكن هؤلاء المشركين يجدون فضاها كما يجدون فضل النعمة إذا كانوا فيها . فإذا زالت عنهم أنسوا من رجوعها إليهم . وكل من المؤمنين والمشركين يعمل على شاكلته ويفهم في هذا القرآن ما تسول له نفسه (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا)

ثم ذكر نهم سألوه عن ذلك القرآن (الروح) ما هو أشعر أم كهانة استنظاما له فإله . بأمرين أولهما انه من الله وما أتوا به من العلم الذي استعظروا لا قلبا بجانب ما لم ينزل إليهم . ومع هذا فلو شاء الله لذهب به ورد إليه تلك النعمة التي لم يعرفوا فضلها ولم يؤمنوا بها .

ثانيهما انه لو كان شعرا او كهانة لامكنهم ان يأتيوا بمثله مع انه لو اجتمع الانس والجن على ذلك لعجزوا عنه « ولو كان بعضهم ليهض ظهيرا »

ثم ذكر ان الله لم يترك شيئا يمكن ان يهتدوا به إلى

الايمان بذلك القرآن الا أتى به . ولكنهم اوا الا كفورا
وطالبوا غيره ان يفجر لهم من الارض نبوعا او يكون له
له جنة من نخيل وعنب أو يسقط السماء عليهم قطعا الخ الخ .
وقد اجاب عن ذلك بثلاثة اجوبة . اولها انه ليس الا بشرا
رسولا لا يمكنه ان يأتي بها من نفسه ولا ان يتحكم بها على
ربه . وانهم ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا مع انهم
ليسوا ملائكة فيجب ان يكون رسولهم منهم . ومع ان الله
قد شهد له بالرسالة بما انزله اليه من الآيات التي هدى اليها
من اراد هدايته فكان من المهتدين . ومن أضله عنها فلا هادي
له عن دونه في الحياة ويوم القيامة مأواه جهنم كلما خبت
زيدت سميرا . ذلك جزؤه بأنه كفر بتلك الآيات وانكر
ان يبعث بعد ان يصير عظاما خلقا جديدا الخ .
ثانيها ان الله يعلم انه لو اعطاهم تلك الاشياء من
الانهار والعيون فكثرت بها امور المهم ليعملوا بها فلا فائدة
في اجابتهم اليها
ثالثها ان الله اعطى موسى مثل تلك الآيات فلم يؤمن
بها فرعون فأغرقه ومن معه جميعا

نمذكر من فضل القرآن ثانيا ما ذكر وانهم ان يؤمنوا به اولا
يؤمنوا فقد شهد بفضله من هو افضل منهم من الذين اوتوا
العلم من قبله . وانهم ان يدعوا الله او الرحمن او يسبوه كلما
سمعوا المسلمين يذكرونه في صلاتهم^(١) فله الصفات الحسنى لا
غيرها مما يسبونه به (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبرا)

سورة الكهف

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة أصحاب الكهف
فيها . ويراد منها اظهار فضل القرآن الذي شغل الكلام فيه
فكما عظمنا من السورة السابقة ولكن بنوع آخر من البيان
فقد كان يعنى هناك باظهار فضل القرآن من حيث انه يهتدى
لتنى هي اقوم ويشتمل على تلك الاحكام التي مرت الخ
أما هنا فيعنى باظهار فضله بتلك القصص المعجبة التي
ذكرت في هذه السورة . والتي - أله عنها كفار قريش بأيعاز

(١) هذا هو السبب في ذكر قوله ولا تجهر بصلاتك بعد
قوله فله الاسماء الحسنى

اليهود امتحانا لنبوته . فنزل بها القرآن تصديقا له
ولما كان ذلك هو الغرض من هذه السورة افتتحت
بالتنويه بشأن القرآن كما اختتمت بالتنويه بشأنه . وتشتمل
السورة باعتبار هذا على مقدمة وخاتمة ومقصد ذكرت فيه قصتان
هما قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين
المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا
إلا آيات إلى قوله تعالى

وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا

ذكر أنه هو لدى أنزل القرآن على النبي كاملا في ذاته
لا عوج فيه لينذر الكافرين عامة عذابا شديدا . ويبشر
المؤمنين عامة بأن لهم أجرا حسنا . وينذر بمخاصة الذين قالوا
اتخذ الله ولدا . فاذا لم يكفهم هذا القرآن في الإيمان به
بل طالبوا منه تلك القصص امتحانا له فلا يليق به أن يحزن
لعدم إيمانهم وإن كانوا أصحاب القوة والثروة . فانما هي زينة
وذاخارف لا يليق به إلا أن يرفضها كما رفضها أصحاب
الكهف من قبله . وقد جعلها الله ليلوا للعباد أي شكروها أم

يكفروها ثم ينصب بها « وانا لجاعنون ما عليهم صعيد جزاء »

القصة الاولى

أم حسبت ان اصحاب الكهف ، الرقيم كانوا من آياتنا
عجبا

الآيات الى قوله : انما الى

خالدين فيها لا يبغيون عنها حولا

(١)

ذكر اجمالاً كيف آووا الى الكهف ومكثوا سنين عددا
الى ان بعثهم الله ثم فصل ذلك الاجال فذكر انهم فتية آمنوا
بربهم قاموا بين يدي ملكهم فقالوا رب السموات والارض
ثم اعتزلوا قومهم الى الكهف هربا منهم فضرب الله على آذانهم
تلك السنين ثم بعثهم من نومهم وعثر عليهم قومهم فلما امانتهم الله
تنازعوا فيهم قال (الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مَسْجِداً)

(٢)

ثم ذكر ان الذين سألوه عن تلك القصة سيذكرون له
فيهم امرين لا علم لهم بهما اولهما في عددهم الذي تنازعوا فيهم
فقال بعضهم انهم ثلاثة رايتهم كلهم الخ . وقد أمر النبي أن

يحببهم عن هذا بأن الله أعلم بمدد ما يملهم الا قليل . وانهم
أن يزيد عن هذا في جدلهم وأن يستفتيهم فيه وان يقدم على شيء
من هذا أو غيره حتى يأذنه الله فيه ليكون على علم به فلا
يرحم بالغيب كما يرجم هؤلاء في تعيين ذلك المدد . وعسى
الله أن يهديه لأقرب من قوالهم فيه رشدا

ثانيهما في مائة آية في الكهف اذ قل بعضهم انهم لبثوا
فيه ثمانمائة سنة وزاد بعضهم تسعا عليهما وقل بعضهم غير ذلك
والله أعلم بما لبثوا « له غيب السموات والارض أوسع »
واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا «

(٣)

ثم امر النبي أن يتلو هذه القصة ليتدبرها ويكون
كأصحاب الكهف فلا يحزن اذا لم يصدقه اغنياء قومه ويرضى
بفقرائهم الذين يدعون دهم بالغدا والعش ولا يطيع فيهم
هؤلاء الا غنياء الذين لا يذكرون الله ولا يهتم امرهم فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر ان الله اعد للكافرين نارا احاط بهم
سرادقها والمؤمنين جنات عدن تجري من تحتها الانهار نعم
الثواب وحسنت مرافقا . ثم امر ان يضرب لهم امثالا اربعة

توضح لهم ان الافخر لا يصح ان يكون بكثرة الاموال
بل بطاعة الله وعبادته . وان الواجب ان يتواضع الغنى للفقير
والكبير للصغير ولا يتكبر عليه

واولها

مثل رحاب جعل الله لاحدهما جنتين من اعناب واحاطهما
بنخيل وجعل بينهما زرعا . فافتخر بهما على صاحبه وقال له انا
اكثر منك مالا واوز نفراً . وظن ان جنتيه ان تبيدا وان
الساعة لا تقوم . فقال له صاحبه اكفرت بالذي خالقك ولم تشكره
على ما اعطاك من جنتيك اللتين عسى ربى ان يؤتيكى خيرا منها
ويرسل عليهما صواعق من السماء فتصبحا ارضا ملساء او
يصبح ماؤهما غائرا فلن تستطيع له طلبا . وقد حقق الله ما قدره
فاهلك جنتيه فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها ويقول
يا ليتنى لم اشرك بربى احدا . ولم يجد من ينصره من دونه فى
نكباته وشده . وهكذا فى كل النكبات تكون الولاية لله
المحقق وهو خير ثوابا وخير عقبا .

ثانيها

مثل الحياة لدنيا كما انزله الله من السماء فلما به النباتات حتى
اختلط بعضها ببعض ولم يلبث ان جف حتى تكسر النباتات
واصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً .
فالحياة الدنيا سريعة الزوال . والمال والبنون منها فهي سريعة
الزوال مثلها . والاعمال الصالحة خير عند الله منها وفي يوم
القيامة اذ يحشر الناس كما خلقوا اول مرة لامال ولا ولد ولا
يجدون امامهم الا كتاب اعمالهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها « ولا يظلم ربك احداً »

ثالثها

مثل ابليس مع آدم اذ تكبر عليه وافتخر بأمله وعصى
امر ربه فلا يليق ان يقتدوا به في ذلك ويتخذوه وذريعة
اولياء من دون الله الذي خلق السموات والارض ويوم
القيامة يدعونهم فلا يستجيبون لهم ثم يرون النار فيظنون
انهم واقعون فيها ولا يجدون عنها مصرفاً . كيف يجدونه وقد
صرف الله لهم في القرآن كل مثل ليؤمنوا فابوا الا المناء
وطلبوا غير هذا ليؤمنوا أن تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم

العباد عيانا. مع ان الرسل لم يبعثوا الا مبشرين ومنذرين وانما
يجادل هؤلاء المشركون بالباطل لئلا يحضوا الحق لدى جاءهم واتخذوا
آياته التي هي احسن مما طلبوه هزوا - ولو يؤخذهم الله بما
كسبوا لمجل لهم ذلك العذاب الذي طلبوه ولكن غفور ذو
رحمة لم يشأ ان يعاجلهم به بل جعل لهم موعدا لن يجدوا من دونه
موثلا « وتلك القرى اهلكنا ثم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم
موعدا »

رايها

مثل موسى وتواضعه مع علمه منصبه لرجل من عباد
الله كان اقل منه ولكن على علم من ربه . وقد قص الله كيف
طلبه مع فتاه حتى اتى به واتبعه على ان يعلمه مما علمه ربه
فرضي بذلك على ان لا يسأله عن شيء حتى يتحدث له منه
ذكرنا ثم ركبنا في السفينة نخرقها فقال له موسى اخرقتهما
لتفرق اهلها وانسى ما اتفقا عليه الختم اخبره عن السر في خرق
السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار بدون اجر وأنه ما فعل
ذلك الا عن امر الله (وما فعلته عن امرى ذلك تأويل ما لم
تسطع عليه صبرا)

القصة الثانية

هي قصة ذى القرنين الذى مكن الله له فى الارض حق
بلغ مغرب الشمس فوجدها كأنها تغرب فى البحر (عين حمئة)
وباغ مشرقها فوجدها تشرق على قوم عراة وبلغ بين السدين
فوجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . فقالوا له أن
يا جوج وما أجوج مفسدون فى أرضهم وطلبوا منه ان يجعل
بينهم وبين هؤلاء القوم سورا فبناه لهم ثم تركهم بموج
بعضهم فى بعض الى ان ينفخ فى الصور فيجمعون الى الحشر
ثم تعرض جهنم على الكافرين الذين اعرضوا عن القرآن
وطلبوا تلك القصص واتخذوا من دون الله أولياء فكانوا
أخسر الناس أعمالا . أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلم
يجنات الفردوس خالدين فيها لا يبدلون عنها حولا

ثم نوه بشأن القرآن فى الختام كما نوه به فى ابتداء
السورة فذكر بعد ان حكى تلك القصص العجيبة ان هذا
قليل من كثير . ولو كان البحر مدادا لكلمات الله لنفد قبل
ان تنفذ ولو جرى بمثله مددا . ولا يمكن ان يكون
هذا من عند النبي لانه ليس الا بشرا مثلهم اوحى اليه ان

أَلْهَمَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا

سورة مريم

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة مريم فيها. والغرض
منها بيان ما كان عليه رسل الله وأوليائؤه في نواضعهم لما يتلى
عليهم من آيات ربهم وعدم تكبرهم عليها كما يتكبر هؤلاء
المشركون ولا يوضون أن يؤمنوا إلا أن يطرد النبي الفقراء
من أصحابه. والمغنى في ذلك القصص العجيب تقربوا السعة
كلمات الله التي ينفد البحر لو كان مداداً لها ولا تنفذ. وبهذا
تنقسم هذه السورة إلى قسمين أولهما في ذكر قصص أولئك
الأنبياء والأولياء تفصيلاً. وثانيهما في تذييلها بما يوافق الغرض
للقصود من ذكرها

القسم الأول

كهيمن ذكر رحمة ربك عبده زكريا
الآيات إلى قوله تعالى (ورفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)
ذكر في هذا المقام ست قصص أولها قصة زكريا. ثانيها

قصة مريم . وثالثها قصة ابراهيم مع أبيه وقومه . ورابعها قصة موسى . وخامسها قصة اسماعيل . وسادسها قصة ادريس الذي كان صديقاً نبياً (ورفعناه مكاناً علياً)

القسم الثاني

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم
(الآيات إلى آخر السورة)

(١)

ذكر أن هؤلاء الأنبياء والأولياء كلهم كانوا إذا تتلى عليهم آيات الله خروا سجداً وبكياً . ثم أتى من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يعمد بهم الله إلا من تاب وآمن فأولئك يدخلون الجنة التي يورثها الله من يشاء من عباده . وينزلون فيها ما يشاؤون بأذن ربهم وما كان الله لينسى أعمالهم فإذا شك إنسان في أن يحيا بعد الموت ليلاقي هذا الجزاء فليذكر أن الله خلقه من العدم ولم يك شيئاً الخ

(٢)

ثم ذكر أن هذا الخلف بمدان اضاع الصلاة واتبع الشهوات إذا تتلى عليه آيات الله شمع بأنفه مغترا عما عنده

من مال وأثاث وكم أهلك الله قبله من أقوام كانوا أغني منه
وانما يمد لهؤلاء حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون أنهم دون
من يشمخون عليهم بآلهتهم » والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثوابا وخير مردا »

(٣)

ثم ذكر أن منهم من يبلغ في الغرور ويظن ان له خير
الدنيا والآخرة ان كانت كأنه أطلع الغيب أو اتخذ عند الرحمن
عهدا . وأنهم اتخذوا من دون الله الهة يزعمون أنها ستكون
لهم يوم القيامة عزاً مع أنها ستكفر بعبادتهم وتكون عليهم
ضدّاً ولكن الشياطين هي التي توسوس لهم بهذا مع
أن الله يعلمهم ثم يحشرهم فلا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهداً . وأنهم قالوا أيضاً أن الرحمن ولدأ من الملائكة
التي يعبدونها فلا يمكن أن يهان يوم القيامة من يعبدها .
وهذا قول منكر تكاد السموات والارض تتشقق منه وتمزق
الجيال هذا . وما من معبود لهم يوم القيامة من الملائكة
وغيرها الا ويأتى الله عبداً . ثم يحضر كل واحد من هؤلاء
المشركين وليس معه من تلك المعبودات احد أما المؤمنون

فسيكونون بخلاف هذا ويجعل لهم الرحمن وداً يشفع به
بعضهم في بعض

ثم ختم السورة بأن هذا القرآن الذي يحتمقرونه إذا يتلى
عليهم من الله وتيسيره أنزله على النبي ليبشر به المتقين وينذر
به قوماً لداً « وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من
أحد أو تسمع لهم ركزا »

سورة طه

سميت بذلك لا بابتدائها بهذا الاسم وهو في لغة عك
بمعنى رجل ويراد منها بعد أن ذكر في السورتين السابقتين
أن أشرف المشركين لم يؤمنوا بالنبي تسليته على عدم إيمانهم به وأنه
لا يصح أن يشقى بذلك ولهذا افتتحت بذكر ذلك كما اختتمت
بأمره بالصبر على اذم دلالة على أن هذا هو المقصود منها. وقد
ذكر بين الفاتحة والخاتمة قصة موسى بما فيها من ضروب الفتن والمحن
التي حصلت له ليكون في هذا تسلياً للنبي بعد تلك التسلية
ثم ذيلت بأصناف من الوعيد تسلياً له أيضاً وتهديداً لهم
ليرتدعوا ويؤمنوا. وبهذا انقسمت هذه السورة إلى أربعة أقسام

كل قسم منها في ناحية من تلك النواحي التي اشرنا اليها

القسم الاول

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى

الآيات الى قوله تعالى

الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى

ذكر أنه لم ينزل عليه القرآن ليشقى بعدم إيمانهم به بل
ليذكرهم به آمنوا أولم يؤمنوا وهو ليس الا تنزيلا ممن خلق
الارض والسماوات العلى... (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى)

القسم الثانى

وهل أتاك حديث موسى

الآيات الى قوله تعالى

انما أهلكم الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما

ذكر قصة موسى وكيف كان اصطفاء الله له ثم قص
ما جرى له مع فرعون الى ان أغرقه الله . وما جرى له مع
قومه بعد هذا ومع السامرى الذى أضل بنى اسرائيل في
غيبه موسى النخ

القسم الثالث

كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك
من لدنا ذكراً

الآيات الى قوله تعالى

ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى

(١)

ذكر أن هذا القرآن الذى يقص عليه تلك الانباء ما هو
الا ذكر عظيم من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا
وقد يقولون اذا صح انا نحشر وتنقضي الدنيا فأين تذهب
تلك الجبال العظيمة . والجواب ان الله ينسفها نسفا . وبه تذبذب
يدعون الى الحشر فيجيبون وتخضع الوجوه للمضى القيوم
ويخيب الظالمون ولا يخاف المؤمنون ظمأ ولا هضم . ثم ذكر
أن الله أنما يفصل لهم الوعيد هذا التفصيل ليتقوا والا يحدث
لهم ذكرا . يعنى حدثا عظيما أمر النبي بانه ظاره فقال (ولا تمجل
بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ولربى زدنى علما)

(٢)

ثم ذكر تأييدا لهذا أن الله عهد الى ادم ان يجعل الجنة

سكناله بشرط أن لا يأكل من الشجرة التي نهاه عنها والا
يخرجه منها فلما أكل منها أخرجه علي عظم منزلته عنده لانه
لا يخلف وعيده كما لا يخلف وعده فمن يتبع هداه فلا يضل
ولا يشقى . ومن يمرض عنه فإنه يعيش في الدنيا مريحة صالحة
ويوم القيامة يحشر اعمى . وكذلك يجزى الله كل من اسرف
ولم يؤمن بايات ربه من هؤلاء المشركين وغيرهم ولو انهم
نظروا فيمن أهلكهم الله من قبلهم لعلوا ان ذلك الحدث
الذى يوعدون به لا بد أن يحصل لهم (ولو لا كلمة سبقت من
ربك لكاذبا لما واجل مسمى)

القسم الرابع

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها

الايات الى آخر السورة

امره بالصبر بعد أن سلاه وان يستعين بالله وتسبيحه في
تلك الاوقات ليفوز بالرضا . ونهاه ان يمد عينيه الى ما متمهم به
من الاموال والاولاد فاعند الله خير وابقى . وأمره أن يقوم
بوظيفته من وعظ أتباعه وحثهم علي فعل الصلاة وهو يتكفل

يرزقه ويجعل العاقبة له على أعدائه (والمأفية للتقوى)
ثم ذكر أنهم يطلبون آية من آيات العذاب الذي أوعدهم به
وامر النبي بانتظاره كأن عذاب الله لم يحصل لمن قبلهم ولم
تأتهم أخباره في الصحف الأولى. ولو أن الله أهلكهم بعذاب
قبل أن يرسل إليهم لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا
ينذرننا بذلك العذاب فننتبه له ولانذل ونخزي (قل كل متربص
فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى)

سورة الانبياء

سميت هذه السورة بذلك لأنه اجتمع فيها على قصرها
من أخبار الأنبياء ما لم يجتمع في غيرها. وقد جاء في آخر
السورة السابقة أن أولئك المشركين افترحوا على النبي آية
عذاب وكان فيما أجابهم عن اقتراحها أنها آية فلا يرتقبوها
فسيعلمون أي الفريقين على الصراط السوى، فجاءت هذه
السورة وأولها في بيان قرب يوم ذلك العذاب وحسابهم فيه
وأخرها في تعيين ذلك الصراط السوى وأنه التوحيد الذي
جاء به الأنبياء الذين ذكرهم في هذه السورة. وهي تنقسم

الى فسد من كل منها في ناحية من تينك بهذا الناحية

القسم الاول

اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون

الايات الى قوله تعالى

ونضع الموازين القسط ليوم القيامة (الآية)

(١)

ذكر انه قد اقرب اليوم الذي يحاسبون فيه وهو الذي
انذروهم به في السورة السابقة ومع هذا فهم ماضون في غفلتهم .
وكما جاءهم النبي بما يذكرهم من القرآن قال بعضهم لبعض
انه بشر مثلهنا وما قرآنه الا سحر وتنجويه . والله يعلم انه ليس
كذلك وهو يعلم حقائق الاقوال في السماء والارض وهو
السميع العليم . ثم قالوا انه أضغاث احلام أو افتراء من
نفسه أو هو شعر وتزويق فيجب ان يأتيهم بآية مثل التي
أتى بها الرسل من قبله . وقد أجاب عن هذا بأن الامم التي
جاءتهم تلك الآيات لم يؤمنوا بها فكذلك هم . وبأنه اذا
كان بشرا مثلهم فكذلك كان الرسل الذين كانوا ينذرون
بمثل ما ينذر به فصدقهم الله وعده وأهلك المسرفين من

قومهم . فكم قسم من قراهم التي كانوا يركضون منها عند
نزول العذاب فيقال لهم لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم
لعلكم تسألون . وهناك يقولون يا ويلنا اننا كنا ظالمين (فما
ذات تلك دعواهم حتى جعلناهم حصية لآخامدين)

(٢)

ثم ذكر أن ذلك كان عدلا لانه لم يخلق السماء والارض
وما بينهما عبثا . بل لغاية من سار في طريقها نجا ومن ضل
عنها هلك . ولو كان يخلق شيئا للهو لاتخذ ذلك ممن عنده
من الملائكة ولم يتخذه من الانس . وكيف يجوز عليه اللهو
وهو الذي يقذف بالحق على الباطل فيزهره وله من في
السموات والارض ومن عنده من الملائكة لا يستكبرون
عن عبادته ولا ينقطعون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون)

(٣)

ثم ذكر أن هؤلاء الملائكة لا يمكن ان يكونوا شركاء لله
أو اولادا يلمو معهم والا لاختلجوا معه وفسد ملكه وانما
هم عباد مكرمون . وحالهم في الوعد والوعيد كغيرهم من
العبيد فمن يقل منهم اني اله يجزي بجهنم كما يجزي غيره .

وكيف يكون لله شريك او ولد وهو الذي فصل السماء
من الارض واثنا قبل ملتصقتين الخ (وهو الذي خلق
الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون)

(٤)

ثم رجع الى أصل الكلام فذكر انه لا يمكن ان يخلد
احد لا النبي ولا هؤلاء المشركون الذين يستهزئون به على
ذمه آلهتهم وهم أحق بالاستهزاء لانهم يكفرون بالله الذي
لا إله غيره : واذا كان الامر كذلك فلا بد من ذلك العذاب
الذي ينذرهم به عاجلا او آجلا ولكنه الانسان خلق من
عجل ولو يعلمون ما أعد لهم فيه ما استعجلوه . ولقد استهزأ من
قبلهم به فخاق بهم ما كانوا به يستهزئون . وانت الله هو الذي
يحفظهم بالليل والنهار فاذا اراد عذابهم منع عنهم حفظه فلا
يتمهم منه آلهتهم وقد سلط المسلمين عليهم ينقصون من
ارضهم فلا يمكن ان يكونوا هم الغالبين

(٥)

ثم ذكر انه ينذرهم بذلك العذاب عن وحى فلا يمكن
انت ينجوا منه ولكنهم صم لا يؤثر فيهم انذار به مع انهم

اذ اسمهم قليل منه يقولون يا ويلنا انا كنا ظالمين (ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة) الآية

القسم الثاني

ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكر المتقين
الآيات الى آخر السورة

جاء الكلام في هذا القسم في مقامين اولهما في سرد
قصص الانبياء الذين ذكرهم والثاني في تذييله ببيان الغرض منه
وقد ذكر في المقام الاول عشر قصص اولها قصة
موسى وهرون . ثانيا قصة ابراهيم مع قومه . ثالثا قصة
لوط . رابعا قصة نوح . خامسا قصة داود وسليمان . سادسا
قصة ايوب . سابعا قصة اسماعيل وادريس وذى الكفل
وثامنا قصة يونس صاحب الحوت : وتاسعا قصة زكريا .
وعاشرها قصة مريم التي احصنت فرجها « فنفضنا فيها من
روحنا وجهلناها وابنها آية للعالمين »

المقام الثاني

ثم ذكر أن هذه الطوائف من الانبياء وهى الارومة
التي ينتمون اليها كانت أمة واحدة على دين واحد هو دين

التوحيد وانما تفرقوا من بعدهم والى الله مصيرهم. فمن يتمسك
 بهذا الدين ويعمل من الصالحات فلا كفران لسميه. ومن
 ينحرف عنه ممن أهلكتهم الله في الدنيا على تكذيبهم برسالم
 فلا بد من رجوعهم الى الله حتى اذا حشروا اليه عند قيام
 ياجوج وماجوج وهو من اشراط الساعة نادوا بالويل مما
 يرون وشهدوا انهم كانوا ظالمين. وهكذا يكون ما آل هؤلاء
 المشركين وما يعبدونه من دون الله ان يكونوا حصب جهنم
 هم لها واردون. أما المؤمنون فيعبدون عنها ولا يحزنهم الفزع
 الا كبر يوم تطوي السماء ويعيد الله الخلق كما بدأه. وكيف
 لا يكون هذا وذلك وقد كتب الله في الزبور من بعد التوراة
 أن الارض يرثها اولئك المؤمنون فليتدبر المشركون قبل ان ينجز
 الله وعده وفي هذا كفاية لقوم يعلمون. وليعلموا ان الله لم
 يرسل النبي الا رحمة لهم ولا يريد منهم الا أن يسلموا لله وحده
 فان آمنوا فبها والا فإنه قد اعذر اليهم ولا يدري اقرب ام
 بعيد ما يوعدون فان الله هو الذي يعلم وقته وحده ولعل ابهامه
 فتنه لهم ومتسع الى حين « قال رب احكمم بالحق وربنا الرحمن
 المستعان على ما تصفون »

سورة الحج

سميت هذه السورة بذلك للكلام على الحج فيها . وقد ختمت السورة السابقة تهديد المشركين بالفزع الاكبر يوم القيامة . وبتسليط المسلمين عليهم في الدنيا بالقتال والاستيلاء على البلاد . فجاءت هذه السورة وأولها في شرح ذلك الفزع الاكبر وان من يعرفه لا يلبق به أن يجادل في الله بغير علم أو يعبده على حرف . وآخرها في أذن المؤمنين بالقتال لفتح تلك البلاد التي اخرجوهم منها وصدوهم عن دخولها لاداء مناسكهم فيها . فهي تنقسم إذاً إلى قسمين كل قسم منها في ناحية من تينك الناحيتين

القسم الاول

يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم

الآيات إلى قوله تعالى

وهذوا إلى الطيب من القول وهذوا إلى صراط الحميد

(١)

أمر الناس أن يتقوا ربهم لينجوا من فزع يوم القيامة

اذ تزلزل الارض زلزالا عظيما تذهل منه كل مرضعة عن
رضيعها (وتري الناس سكارى وما هم بسكارى واكل عذاب
الله شديد)

(٢)

ثم ذكر انه مع هذا يوجد من يجادل في الله وينكر ذلك
البعث بغير علم مع ان الله خلقهم من تراب ثم من نطفة الخ
فهو قادر على بعثهم كما قدر على خلقهم . ومنهم من يجادل في الله
ليضل الناس عن سبيله . ومنهم من يوافق فيعبد الله على شك
من العاقبة فان اصابه خير اطمان به . وان اصابته فتنة لقلب
على وجهه . يدعو من دون ما لا يضره وما لا ينفعه (يدعو
لمن ضره اقرب من نفعه لبيئس المولى وليئس المشير

(٣)

ثم ذكر المؤمنين بعد الكافرين وجزاءهم في ذلك اليوم
ونصرهم في الدنيا وان ظن الشاكون في أمرهم أنهم لن
يذهبوا . وأن الله يجمعهم في ذلك اليوم مع اليهود والصابئين
والنصارى والمجوس والمشركين ويفصل بينهم بعد ان اختصموا
في ربهم . فالكافرون تقطع لهم ثياب من نار والمؤمنون يدخلهم

الله جنات يحاون فيها من أساور من ذهب . . . (وهدوا الى
الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد)

القسم الثاني

أن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام
الآيات الى آخر السورة

(١)

مهدي للاذن في قتال المشركين ببيان انهم يصدون المسلمين
عن المسجد الحرام مع ان الله جملة للناس سواهم وأنهم يصدون
فيه بعبادة الاصنام مع ان ابراهيم حين بناه امر ان لا يعبد
فيه غير الله . وان يشرع للناس الحج اليه ليشهدوا منافع لهم
ويذكروا اسم الله ويطعموا البائس الفقير . وكذلك يعظمون
حرمات الله فيه فلا يستبيحون صيده والانعام حلال لهم
فيه إلا ما استثنى منها في سورة المائدة وكذلك يحتنبون الاوثان
والنبلية لها ويعظمون شعائر الله وهي هدايا الحرم ينتفعون
بها الى أن يحل نحرها . . . (ان ينال الله لحومها ولا دماؤها) لاية

(٢)

ثم ذكر ان الله لا يترك المؤمنين ممنوعين من حرمه بل

يدافع عنهم هؤلاء المشركين ويأذن لهم في قتالهم ولولا أن
يدفع الله أهل الباطل بأهل الحق لهدمت بيوته
من المساجد وغيرها . ثم وعدهم بالنصر وبببر انهم
يستحقونه لانه ان مكن لهم في الارض (اقاموا الصلاة
واآتوا الزكاة وأمسروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة
الامور)

(٣)

ثم ذكر انهم أن يكذبوه في هذا الوعد فقد كذبت
قبلهم قوم نوح وغيرهم فأهلكهم الله ثم اخذهم فأهلك قراهم
وانهم لبرونها في اسفارهم ولا يتعظون لعمى قلوبهم وانها
لا تعمى الابصار (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

(٤)

ثم ذكر انهم يستعجلونه به وان يخالف الله وعده وأن
أملى لهم . فالذين آمنوا لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا
في ابطال آيات الله أولئك اصحاب الجحيم . وهذا كما سمى
بعضهم عند ما نزلت سورة النجم فقرأ النبي (أفرايتم اللات
والعزى ومناة الثلاثة الاخرى) فقال هو تلك الغرائيق العلى

وانشغاعتم لتترجس . واللقى ذلك في وسط قراءة النبي بحيلة
 شيطانية ظن المشركون معها ان هذا من القرآن ففرحوا
 وهكذا كان لكل رسول شيطان من الانس اذا قرأ القى في
 قراءته مثل ذلك فينسخ الله ما يلقىه ويحكم اياته والله عليم
 حكيم . وانما يفعل الله ذلك ليختبر به مرضى القلوب وانه لهادى
 الذين آمنوا الى صراط مستقيم . ويترك غيرهم في
 في شكهم بما يوعدون به حتى يأتهم بغتة في يوم يكون الامر
 فيه لله بحكم بينهم فالمؤمنون في جنات النعيم (والذين
 كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين)

(٥)

ثم ذكر جزاء المهاجرين في ذلك اليوم وخدمهم تشريفا
 لهم فوعد بأنه يوزقهم رزقا حسنا ويدخلهم مكة مدخلا
 برضونه وهو الذى يولج الليل في النهار ويعلم انهم على الحق
 واعدائهم على الباطل وهو الذى ينزل من السماء ماء ... (وهو
 الذى احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور)

(٦)

ثم ختم السورة بقطع اطاعهم في عدول النبي عن دعواته

وترك قتالهم فبين ان لكل امة شريعة لا يمكن الا ان تعمل بها
ونهى النبي ان يضعف في مجادلهم او ينقطع عن دعوتهم فأن ابوا
الا العناد فليس عليه الا أن يحذرهم - ما يعملون مما يعلم الله به
ويكتبه لهم الى يوم القيامة (ألم تعلم ان الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير)

(٨)

ثم مضى على سبيل التمرين قليلا في تلك الدعوة فبين
أنهم يعبدون من دون الله مالا دليلا لهم عليه ثم لا يرضون بما
يأتينهم من الايات البينات على ان الله لا اله غيره ثم ضرب لهم
مثلا بين لهم فيه أن آلهتهم لا تقدر على خلق الذباب الخ
ثم ذكر انه يصطفى لدعوته من يشاء من الملائكة والانس بما
يعلمه من حالهم وآليه ترجع الامور . ثم امر المسلمين ان
يستعينوا عليهم بالله وان يمشوا في جهادهم الذي اذن لهم فيه
بعد ان اختارهم لنصرته واعطاهم دينالا حرج عليهم فيه هو دين
ابيهم ابراهيم . . . (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا
بالله هو مولاكم فهو المولى ونعم النصير)

سورة المؤمنين

سميت هذه السورة بذلك لافتتاحها ببيان صفات المؤمنين التي بها يفلحون على اعدائهم بعد أن اذن لهم في قتالهم في السورة السابقة . وقد ذكر فيها بعد هذا أخبار الاولين الذين كذبوا رسلهم فأهلكهم الله وأن أولئك المشركين سيغلبون مثلهم وبهم - هذا تنقسم هذه السورة إلى ثلاثة أقسام

القسم الاول

قد أفصح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
الآيات الى قوله تعالى (وعليها وعلى الفلك يحملون)

بين الصفات التي بها يفلح المؤمنون على اعدائهم وهي ستة أولها الخشوع في الصلاة الخ : وأن أصحاب تلك الصفات هم الوارثون « الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »

ثم ذكر من نعم الله ما يؤيد كذا القيام بتلك التكليف فبين انه خلق الانسان من سلالة من طين الخ ثم خلق لهم الانعام فيها منافع كثيرة ومنها يأكلون (وعليها وعلى الفلك يحملون)

القسم الثاني

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله

الآيات الى قوله تعالى

يا أيها الرسل كلوا من الطيبات « الآية »

ذكر من قصص الاولين قصة نوح مع قومه ثم قصة
قرن انشاء الله بعدهم « عاد أو ثمود » . ثم قصة قرون جاءت
بعد هؤلاء قرنا بعد قرن . ثم قصة موسى مع فرعون وقومه
ثم قصة عيسى مع أمه وكيف آواها الى ربوة ذات قرار ومعين
وقال لهما « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات » (الآية)

القسم الثالث

وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون

الآيات الى آخر السورة

ذكر أن هذه الطوائف التي اهلكها الله وهي ادومتهم
التي ينتمون اليها كانت واحدة في الشرك الذي ذهبت فيه
مذاهب مختلفة كل حزب بما لديهم فرحون . فما حصل لهم
بسببه سيحصل هؤلاء المشركين وانما هم غافلون يحسبون
ان ما يمدهم الله به من مال وبنين خيرات يعجل لهم بها وليست
الا استدراجا لهم . وانما الخيرات ما يسارع فيه المؤمنون
من خشية الله والايمان بآياته ونحو ذلك من الاعمال التي

لا يكافهم الله الا بما في وسعهم منها والمشركون في غفلة
عنها « ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون »

ثم ذكر انه قد اخذهم بطرف من ذلك العذاب في سنى
القطط فصرخوا منه ولجؤا الى النبي في دفعه ونسروا
انه كان ينذرهم به في كذبون ويستهزئون . كانوا لم يتدبروا
امره او كان النبي جاءهم بما لم يأت به احد من قبله او كانوا لم
يعرفوا انه ذلك الرسول الذي بشروا به الخ . ولو ان الله غفر
لهم كل هذا وكشف عنهم القطط لعادوا الى طغيانهم كما اخذهم
بالعذاب يوم بدر فلم يستكينوا اليهم حتى اخذهم بذلك القطط
ففتح عليهم (بابا ذا عذاب شديد اذاع فيه مبلسون)

ثم ذكر ان الله الذي لم يستكينوا له بعد هذا العذاب
هو الذي انشا لهم السمع والابصار وغيرها من النعم التي لم
يشكروه عليها فابتلاهم بذلك القطط ليعرفوا قدرها . وهو
الذي خلقهم ثم يحشرهم اليه لينزفوا كل العذاب الذي اعدوا
به . وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار فيقدر
على ذلك الحشر كما قدر على هذا ولا يفتنونهم لايملكون ، بل
يقولون ائنا ائمتنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون . مع ان

الله الارض والسموات ويده كل شيء ولا شريك له من ولد
او غيره . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ،،

ثم امر النبي ان يدعو ربه ان ينجيه من ذلك العذاب
اذ الحق بهم : واخبره بأنه قادر على ان يريه ما يمدحهم من عذابهم
فاذا كانت هذه عاقبتهم فليحتمل اذا هم ويستعند بالله من
الشيطان ان يؤثر عليه فيغضب عليهم فيسندمون اذا جاءهم
الموت ويتمنون أن يردوا ليعملوا من الصالحات ما فاتهم
فلا يجابون ويتركون في برازهم الى ان يبعثوا فيحاسبوا
فمن ثقت موازينه فأولئك هم المفلحون ... (وقل رب اغفر
وارحم وأنت خير الراحمين)

صحيفة خطأ صواب صحيفة خطأ صواب
١٢٣ ألحق هم ألحق بهم ١٢٨ فتكون فتكوى
في السطر الاول من (صحيفة) ٢٠٢ تأخير كلمة (بهذا) عن
أوله وفي السطر الخامس تكرير كلمة (ليوم)

الأفق الجديد لنا

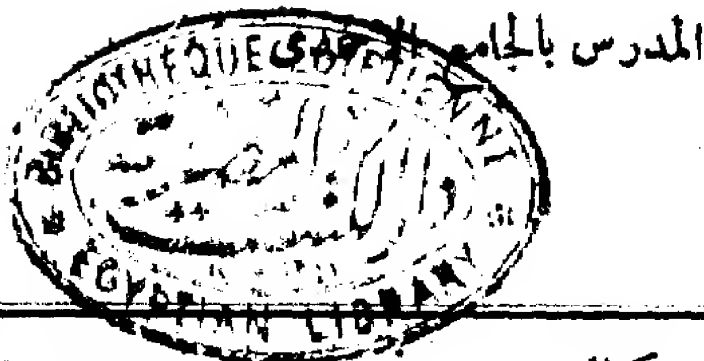
في خسر نظم القرآن

الجزء الثالث



« تأليف »

✧ عبد المتعال الصعبدى ✧



✧ مطبعة جريدة الكمال لصاحبها نجيب يوسف * بطنطا ✧

سورة النور

سميت هذه السورة بذلك لانه ذكر فيها نور الله وضرب
له ذلك المثل المعجيب الآتى . وقد ذكر في اول السورة السابقة
بعض احكام الايمان العملية على سبيل الاجمال : وذكر فيها
حفظ الفروج الاعلى الازواج أو ما ملكت الايمان . وفي
هذه السورة ذكر ما يتعلق بحفظ الفروج من أحكام الزنا
والقذف وغيرهما والسورة كلها بمسند براءة المظلم سياف
واحدي بيان تلك الاحكام

براعة المظلم

سورة انزلناها وفرنناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون
هذه الآية كبراعة مظلم لهذه السورة بين فيها ان
الفرض منها بيان شيء من الفروض والاحكام العملية في
آيات بلغت على درجات البيان

الاحكام

الزانية وارتأت فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
الآيات إلى آخر السورة

حكم الزنا

ذكر فيه حكمين وجوب جلد كل من الزاني والزانية
وتحريم زواج الزاني على المؤمنة العفيفة وزواج الزانية على
المؤمن العفيف

حكم القذف

القذف اما الاجنبيات وأما الزوجات فقذف الاجنبية
ان لم يقم اربعة شهود على زناها يجلد ثمانين جلدة الخ وقذف
زوجته اذا لم يكن معه اربعة شهود على زناها يلاعنها فيدوأ
بلعانها حد القذف عن نفسه : وتدرأ بامانها حد الزنا عن
نفسها. وهذا من فضل الله ورحمته بهما (وأن الله تواب حكيم)

حديث الافك

ولما فرغ من بيان حد القذف ذكر حديث الافك
المروف لان حد القذف بل هذه السورة نزلت به وبسببه
ويراد منها تحديد علاقه الرجل بالمرأة دفعا لمثل ذلك الريبة
التي كاد المسلمون يفتنون بسببها : ولما نزلت هذه الآيات
في براءة عائشة حلف ابو بكر لا ينفق على مسطح بن اثثة
لانه كان من قاذفيها وكان ينفق عليه لقرايته وفقره فبزل

فما نزل في ذلك الحديث النهي عن مثل هذا (ولا يأتل
أولو الفضل منكم والسعة أن يؤثوا أولى القرى) فرجع أبو
بكر إلى الاتفاق عليه : وانتهى الكلام في ذلك الحديث
بقوله تعالى (الخبيثات للخبِيثين والخبيثون للخبِيثات) الآية

آداب البيوت

نهي عن دخول بيوت الغير قبل الاستعلام عن أهلها
والسلام عليهم والاذن منهم وأباح دخول غير بيوت السكنى
بغير اذن كالخانات والرباطات

حكم النظر

أمر الرجال بغض البصر عن النساء وأمر النساء بمثل
ذلك وأن لا يبدن زينتهن الا لازواجهن ونحوهم

انكاح الايامى

أمر بأنكاح الايامى ومن يصلح للأنكاح من العبيد والاماء
وأمر من لا يجد مهورا أن يستعف حتى يغنيه الله. وأمر بمكاتبة
الارقاء وحرم اكرام الفتيات على البغاء طمعا في عرض الدنيا
(ومن يكرهن فإن الله من بعدا كراههن غفور رحيم)

استط—راد

لما كانت تلك المادة من أقبح عادات الجاهلية وكان المنافقون
 كعبد الله بن أبي بكر هون فتياتهم على عاداتهم أراد الله أن يقطع
 بهم سياق سرد الأحكام إلى مقامين أولهما في بيان فضل
 القرآن والاهتداء بآياته اليقينات وأن الله أنار به السموات
 والأرض وجعل نوره كمشكاة فيها مصباح الخ. وإن الله يهدي
 إلى ذلك النور من أراد سعادته من رجال لانهيهم تجار قولا
 ميع عن ذكر الله . والذين لا يهتدون إليه أعمالهم كسراب ببيعة
 أو كظلمات في بحر لجي (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور)
 وكيف يكون له نور وهو يرى كل من في السموات والأرض
 قد اهتدى إليه (كل قد علم صلاته وتسبيحه) وهو لم يهتد
 إليه . كيف يكون له نور وهو يرى الله يسوق السحاب ثم
 يجمع بين أجزائه حتى يترام بعضها فوق بعض الخ ويراد
 بهذا كله تذكيرهم بأن هناك ما هو أهم من عرض الحياة الذي
 يكرهون بسببه فتياتهم على البقاء

ثانيها في ذم أولئك المنافقين على أظهارهم الإيمان والطاعة
 فإذا نهوا عن ذلك الأكره أو نحوه تولوا وهم معرضون . وقد

مضى في ذكر قبائحهم ماشاء ثم رجع الى سرد الاحكام
آداب الخدم ونحوهم

حرم عليهم فيما تقدم دخول البيوت بغير إذن وأباح
هنا لعبيدهم ومن لم يبلغ منهم الدخول بغير إذن الا في اوقات
الثلاثة وبيل الفجر النخ ثم نفى الحرج عن العميان
وذوي العاهات في دخول البيوت والا كل منها لاحتاجهم كما
يباح للانسان ان يأكل من بيته او بيت ابنه او نحوه

آداب الاجتماع

ذكر انه اذا جمع النبي المؤمنين لمهم لم يجز لهم ان يخرجوا
بدون اذنه : وان الله ليعلم من يتسلل فيخرج في خفية من
المنافقين ويحذرهم أن يصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم
(الا ان لله ما في السموات والارض قديم ما انتم عليه) الآية

سورة الفرقان

قد نوه بشأن القرآن في السورة السابقة وضرب له
مثلا ذلك النور المجيب ثم أتى بعدها بهذه السورة لدفع
ما يفترونه عليه وعلى النبي الذي جاء به ولهذا سميت باسمه وقد
جاء أولها في التنويه بشأنه ودفع افتراءاتهم عليه وآخرها في

تصير الذي على آذام وهذا تنقسم هذه السورة الى قسمين

القسم الاول

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً

الايات الى قوله تعالى

ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق واحسن تفسيراً

نوه بشأن القرآن وشأن منزله الذي له ملك السموات والارض

ليس له فيه ولد أو شريك من آلهتهم الذين لا يخلقون شيئاً إلخ

ثم ذكر لهم افتراءات خمسة أولها أن هذا القرآن من

عنده ويعينه عليه بعض أتباعه وثانيها أنه أساطير الاولين

يخفونها له غيره بكرة وأميلا وثالثها ان الذي جاء به يأكل

الطعام ويمشي في الاسواق وليس معه ملك يصدقه ولا ما يغنيه

عن طلب المعاش من كنز ياتي اليه من السماء او نحوه وقد

اجاب عن هذا بأن الله أن شاء جعل له خيراً من ذلك جنات

وقصورا ولكنهم يكذبون بالساعة ويظنون أنه لا خير الا في

الدنيا وبأن الرسل قبله كانوا يأكلون الطعام ويمشون في

الاسواق مثله ورايها أنه لا وجه لنزول الملائكة به عليه دونهم

وقد اجاب عنه بأنه تعنت وبأن الملائكة لا تنزل على مثلهم بالوحي

بل يوم يرونهم لا بشر لهم ويقولون حجر مجبوراً الخ وخامسها
انه لم ينزل عليه جملة واحدة كما انزلت التوراة ونحوها وقد
أجاب عن هذا بأنه نزل مفراً لينبت به قواده وليدفع كل اعتراض
لهم في حينه (ولا يأتونك بمثل الاجتنالك بالحق وأحسن تفسيراً)

القسم الثاني

الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكاناً
الآيات الى آخر السورة

ابتدأ هذا القسم ببيان سوء عاقبتهم وانذارهم بما حصل
لأعداء الرسل من قباهم الى ان ذكر عدم اعتبارهم بما يرونه من
آثارهم واستهزاءهم بالنبي الذي يريد أن يضلهم في زعمهم (وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً)

ثم ذكر للنبي جهلهم وان الله هو الذي مد الظل ولو
شاء لجعله ما كذا الخ وانهم يعبدون من دونه ما لا يضرهم ولا ينفعهم
الخ وانهم اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن الخ
ثم ذكر حال عباده المؤمنين بعد موتهم وانهم يحزون الغرفة
خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً (قل ما يعبا بكم ربي لولا
دعائكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً)

سورة الشعراء

سميت هذه السورة بذلك لانه تكلم فيها على الشعراء
وانهم يتبعهم الغاوون . والغرض منها للتوبيه بشأن القرآن
مع تسلية النبي علي عدم ايمانهم به وهي تنقسم إلى قسمين

القسم الاول

طسم تلك آيات الكتاب المبين

الآيات الى قوله تعالى

وان ربك لهو العزيز الرحيم (الاخير)

نوه اجمالاً في ابتداء السورة بالآيات التي سيذكرها
فيها ونهى النبي ان يحزن لعدم ايمانهم بها وبين انه قادر على
ان ينزل عليهم آية من السماء فيأخذهم بالعذاب بعد ان لم تنفع
فيهم تلك الآيات

ثم سرد تلك الآيات وهي ثمانية اولها كونية يرونها
في الارض وما انبت الله فيها من كل زوج كريم . والثانية
تاريخية تتعلق بما جرى لموسى مع قومه . والثالثة تتعلق بما
جرى لابرهم مع قومه . والرابعة تتعلق بما جرى لنوح مع
قومه . والخامسة تتعلق بما جرى لهود مع عاد . والسادسة

تتعلق بما جرى له صالح مع ثمود . والسابعة تتعلق بما جرى
للوط مع قومه . والثامنة تتعلق بما جرى لشعيب مع أصحاب الأيكة

القسم الثاني

وانه لتنزيل رب العالمين

الآيات إلى آخر السورة

أثبت ان الكتاب الذي يشتمل على تلك الآيات العجيبة
لا يصح لهم أن يشكروا في أنه من الله خصوصا بعد أن
بشرت به الكتب المنزلة قبله وعلم بصدقه علماء بني اسرائيل
الح ثم ذكر أنه ليس من جنس ما تلقى الشياطين على الكهان
والشعراء كما يزعمون لان مثل هذا لا يستطيعونه وهم معزولون
عن استماع كلام أهل السماء . . . ولأنهم لا يتنزلون الاعلى
كل افاك ائيم من الكهان والشعراء الذين يتبهم الغاوون . . .
(الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) الآية

سورة النمل

سميت هذه السورة بذلك لانه ذكر فيها ما جرى للنمل
مع سليمان ويقصد منها التنويه بشأن القرآن أيضا وينقسم
ما جاء فيها تحت هذا الغرض الى قسمين أولهما في التنويه

بشأن القرآن وذكر شيء من اخبار الاولين . وثانيهما في
تعقيبها بما يناسب الغرض من ذكرها

القسم الاول

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين
الآيات الى قوله تعالى

وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين

نوه بآيات السورة والكتاب المشتمل عليها ووصفه
بأنه هدى وبشرى للمؤمنين ثم ذكر انه أنه يلقاه من لذت
حكيم عليهم تهيئة الاخبار التي سيذكرها ولا علم له من قبل
بها . واولها يتعلق بموسى . وثانيها يتعلق بدادود وابنه سليمان .
وثالثها يتعلق بصالح وثمود . ورابعها يتعلق بلوط مع قومه وقد
اراد قومه أن يخرجوه من قريتهم فامطرهم الله فساء مطر المنذرين

القسم الثانى

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصح - طفي الله خير
أما يشركون

الآيات الى آخر السورة

أمر النبي ان يحمد الله الذى أعطاه هذا القرآن وعرفه

أخبار هؤلاء الرسل وإن يسلم عليهم ويقر بأن الله الذي علمه
هذا خير مما يشركون الخ ثم ذكر أن القرآن يقص من تلك
الأخبار ما يجعله أهل الكتاب من بني إسرائيل وهو مع هذا
هدى ورحمة للمؤمنين. ولكن هؤلاء المشركين صم لا يسمعون
وعى لا يهتدون الخ ثم ختم السورة ببيان أنه مأمور بعبادة رب
هذه البلدة « مكة » وبتلاوة القرآن المنزل عليه فمن اهتدى
فلنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المذنبين (وقل الحمد لله سيريكم
آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون)

سورة القصص

سميت هذه السورة بذلك لأن معظمها وارد فيه وقد
جاء أولها في التنويه بالقرآن وذكر شيء من دوائع آياته
في قصة موسى مع فرعون . وآخرها في الاحتجاج بها على
أنه من عند الله ودفع ما عندهم من شبه عليه

القسم الأول

طسم تلك آيات الكتاب المبين

الآيات إلى قوله تعالى

ولقد آتينا موسى الكتاب « الآية »

نوه بآيات السورة والكتاب المشتمل عليها ثم ذكر
قصة موسى مع فرعون الى ان انتهى الى تلك الآية

القسم الثاني

وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر
الآيات الى آخر السورة

ذكر انه لم يكن مع موسى في جانب الطور الغربي
اذ أنزلت عليه التوراة ولم يبرح مكة الى مدين التي جرت
فيها بعض تلك الحوادث وانما هو قرآن يوحى اليه من ربه
الخ . ثم ذكر لهم شبهتين عليه اولاهما انه لم يؤت مثل ما
اوتي موسى الخ والثانية انهم يخافون من الايمان به . والخروج
على قبائل العرب ان يتخطفونهم من ارضهم . وقد اجاب عنها
بأن الله قد اوجدهم في حرم آمن فلا يخاف عليهم . وبأن الله
ينصرهم عليهم كما نصر من قبلهم واهلك اعداءهم وبأن ما يخافون
عليه ان هو الا متاع الحياة الدنيا ولا يذكر بجانب ما عند المؤمنين
من الثواب وللكافرين من العقاب يوم الآخرة اذ يناديهم الله ابن
شركائي الخ ثم ضرب لهم ما يخافون عليه من ذلك المتاع مثلاً
قارون وما اوتيته من السكنوز ففرح بها وآثرها منلهم على

ما عند الله نخسف به وباداره الارض الحثم ختم السورة بعد ان
فرغ من اثبات صحة القرآن بإرشاد النبي الى الاكتفاء بذلك
ونوكهم الى الله الذي هو أعلم بمن هو على الهدى ومن هو في
ضلال مبين . ثم ذكره بنعمة الله عليه بذلك الكتاب الذي
ما كان يوجو ان ينزل عليه فلا يصح ان يظهر أو تلك المشركين
أو يدعو مع الله الها آخر (لا إله الا هو كل شيء هالك الا
وجهه له الحكم واليه ترجعون)

سورة العنكبوت

سميت هذه السورة بذلك لانه شبه فيها اعتماد المشركين
على آلهتهم باعتماد العنكبوت على بيتها . ويقصد منها تهوين
أمر الجهاد على الخائفين ان يتخطفوا من ارضهم اذا آمنوا
وتنقسم الى ثلاثة اقسام أولها في انه لا بد من ان يلاقى
المؤمنون في سبيل الا ان مالتى غيرهم من قباهم . والثاني في
تهوين أمر أولئك المشركين عليهم والثالث في بيان ان الارض
لا تضيق بالمرء ودينه حتى يحجم او يرتد عنه

القسم الاول

ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون

الآيات الى قوله تعالى

فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً (الآية)
ذكر انه لا يترك لناس بعد الايمان بدون ان يتليهم
بالجهاد ونحوه كما ابتلى به من قبلهم ليعلم الصادق في ايمانه من
غيره الخ ثم قص ما جرى للمؤمنين الاولين مع اعدائهم وانه لم
يترك احدا منهم حتى اخذه بذنبه (وما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون)

القسم الثاني

مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل المنكبتين

الآيات الى قوله تعالى

يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم (الآية)
لما ذكر ما حصل لاولئك المشركين الذين كذبوا رسالهم
ولم تغن عنهم شركاؤهم ضرب لهما مثلاً بيت المنكبتين الذي
لا يدفع عنها اذى من حراو برد او غيرها تهويننا لاصرا المشركين
الذين يؤذون المسلمين الخ ثم اسر النبي ان يتلو ما اوحى اليه
من اخبار اولئك الانبياء ليتسلى بها . والا يعامل من لم
يؤذه من اهل الكتاب مثل هؤلاء المشركين بل يجادلهم

بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم فكثير منهم يؤمن بما
أنزل اليه ولا يؤمن به الا قليل من اهل مكة ويجحد به اكثرهم
فيعترحون عليه آيات غيره ولا يبالون بما يترتب على ذلك
من العذاب بل يستمعجون به الخ

القسم الرابع

يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فايأى فاعبدون
الايات الى آخر السورة

ذكر ان ارض الله واسعة فمن يؤذى من المؤمنين فى
بلده فليهاجر منها الى غيرها وان الله ليجازيهم على ذلك
ويؤثم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار ولا ينسأهم
إذا هاجروا من ديارهم بل يرزقهم كما يرزق الدواب التى
لا تدخر شيئا للغد . فالله خالق السموات والارض ومسخر
الشمس والقمر يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر (يضيق)
يعرف ذلك الذين يشركون به كغيرهم ولكن اكثرهم
لا يعقلون . وما الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة
هى الحياة ولو يعلمون لا تروها ورجعوا الى الله الذى يجمعون
اليه عند ركوب البحر وخوف الفرق وهو الذى جعل لهم

حرما آمنا يتخطف الناس من حوله اقبا لباطل يؤمنون وبنعمة
الله يكفرون (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وان الله لمع المحسنين)

سورة الروم

سميت بذلك لافتتاحها بذكرهم ويقصد منها تسليية
المسلمين حين احزنهم انتصار الفرس على الروم وهم اهل
كتاب مثلهم فوعدهم بنصرهم عليهم تحقيقا لما وعد به من محق
الشرك ونصر المؤمنين : وتشتمل على مقصد وخاتمة
المقصد

الم غلبت الروم في أدنى الأرض

الآيات الى قوله تعالى

ونقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل (الآية)

وعد بنصر الروم على الفرس بعد ان غلبوهم تحقيقا لما
وعد به من محق الشرك وأن كان المشركون لا يصدقون
اغترارا بظواهر الحياة واقبالها عليهم وغفلة عن الآخرة
وما اعد لهم فيها ، ثم اخذ في تذكيرهم بآيات الله ليثبت أن لهم
معادا ويطل بها شرهم : فذكرهم بمخلق السموات والارض الخ

ثم امر النبي والمؤمنين ان يتمسكوا بالتوحيد (دين الفطرة) ولا يكونوا من المشركين الذين يفرحون بما لديهم من امور الحياة فاذا مسهم ضر رجعوا الى دينهم حتى اذا كشفه عنهم عادوا الى شركهم مع ان الله يسط الرزق لمن يشاء مؤمنا او كافرا فلا يحق لهم ان يفرحوا به النخ ثم امره ثانيا ان يتمسك بذلك من قبل ان يأتى اليوم الذى وعد المشركون به . وبهذا رجع الى اصل الكلام ورجع الى تعداد آيات الله الدالة على قدرته عليه الى ان ختم السورة بأب الله يضرب لهم الامثال والادلة على ذلك وليكنهم لا يتأثرون لان الله طبع على قلوبهم . . (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفئك الذين لا يوقنون)

سورة لقمان

سميت بهذا لذكر وصاياه فيها واية صدمتها التنويه بشأن القرآن وآياته المشتملة على تلك الوصايا وقد افتتحها بالتنويه بآيات القرآن وذم من يشترى لهُو الحديث بها النخ ثم ذكر تلك الوصايا وهى فى النهى عن الشرك والأمر بطاعة الوالدين النخ ثم تكلم بمناسبة ذلك على التوحيد ونبه المشركين

إلى ما سخره الله لهم في السموات والارض الخ ثم امرهم بتقوى
الله وان يخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده شيئا الخ

سورة السجدة

سميت بهذا لان فيها آية يسن سجود التلاوة عند قراءتها
ويقصد منها اثبات ان القرآن من عند الله نزل على النبي لينذروهم
به ويثبت لهم ان ربهم الذي خلق السموات والارض الخ
ويثبت لهم انه قادر على ان يبعثهم وان تفرقت اجزاؤهم في
الارض الخ . قد ذكر بعد هذا الذين يؤمنون بالقرآن وما
أعد لهم في الآخرة مما تقربه أعينهم . وذكر الذين يعرضون
عنه وما أعد لهم من العذاب الأدنى (عذاب الدنيا) دون
العذاب الأكبر . وذكر ان عذابهم في الدنيا بأيدي المسلمين
جاء في كتاب موسى (التوراة) الخ ثم ذكر انهم سألوه متى
هذا الفتح (العذاب) فأجابهم بأنه اذا أتى لا ينفع الكافرين
إيمانهم ولا ينظرون (فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون)

سورة الاحزاب

سميت بهذا لانها نزلت بعد غزوة الاحزاب للكلام
عليها وعلى حوادث وقعت في زمنها أو قبله أو بعده بقليل .

ولما كانت اكثر احكامها تتعلق بالنبي ابتدأها بخطابه ثم مهد
لمقاصدها بأمر أولها نهيها عن طاعة الكافرين والمنافقين
لما كان منهم في غزوة الاحزاب . ثانيها ابطال التبنّي تهيدا لقصة
زينب وقد حكم بأنه لا يمكن ان يكون التبنّي ابنا كما لا يمكن
أن يكون الرجل قلب غير قلبه وكما لا يمكن أن تكون
الزوجة أما بقول زوجها لها أنت كأمي . ثالثها أن أزواج النبي
امهات المؤمنين تهيدا لتحريمهن عليهم رابعها ان الارث بالرحم
تأكيد الأبطال التبنّي

وقد تكلم بعد هذا على غزوة الاحزاب . ثم تكلم على
حادثة نخير النبي نساءه بين الرضا بما يعطيهن من كسوة
ونفقة وبين تسريحهن اذا أردن الازيادة النفقة . ثم تكلم
على حادثة زينب وزيد زوجها وكان يدهي له . ثم تكلم على
حكم الطلاق قبل الدخول وحرم علي النبي أن يزيد على
زوجاته بعد ان وسم له في نكاح الحرائر والاماء وبنات عمه
وعماته الخ ثم تكلم على الحجاب وختم السورة بنهي المؤمنين
ان يؤذوا النبي بعد ان ذكر أنواعا من الايذاء بعضها منهم
قبل نزول الحجاب . وبعضها من المنافقين الذين كانوا يتبعون

في الطرق نساء المؤمنين. ثم امرهم بالتقوى والطاعة وهي الامانة
التي عرضها على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها
وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ...

سورة سبأ

سميت بهذا لانه ذكر فيها قصة سبأ ويراد منها اثبات
الساعة التي هددوا بها على ايداء النبي في آخر السورة السابقة
وقد افتتحها بحمد الله الذي له مافي السموات والارض وله
الحمد في الآخرة ثم ذكر لهم اعتراضات عليها أولها انهم قالوا
لا تأتينا الساعة الخ . ثانيها انهم لا يمكن ان يعيشوا بعد ان
يمزقوا كل ممزق وقد أجاب عن هذا بأن الله قادر على ذلك
وهم يرون آثار قدرته في السماء والارض وهو الذي سخر الجبال
والطير لداود والريح لسليمان وادسل على اهل سبأ سبيل
العرم . ثالثها انهم سألوا متى تقوم الساعة استبعادا لها وقد
أجاب عن هذا بأن لهم ميعاد يوم يقف فيه الظالمون عند
عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول الخ وقد استمر
الجدال معهم في هذا الى ان ختم السورة بأنه اذا جاء هذا
اليوم يحال بينهم وبين . ايشتهون (كما فعل بأشياهم من

قبل انهم كانوا في شك مريب)

سورة فاطر

براد من هذه السورة دعوة المشر كين الى الله وتصديق
النبي وقد افتتحها بالحمد لله فاطر السموات والارض الخ ثم
ذكرهم بعذابه وحذرهم أن تغرهم الحياة أو يخدعهم الشيطان
عنه الخ وبين لهم ان الله قادر على بعثهم لينذوقوه كما يرسل
الرياح فتثير سحابا الخ وكما خلقهم من تراب الخ وكما يولج
الليل في النهار الخ ثم ذكر لهم انه الغنى وهم الفقراء وانه ان يشأ
يذهبهم ويأت بغيرهم وان انذاره انما يؤثر فيمن يخشى ربه
بالغيب الخ ولا يمكن ان يسمع هؤلاء الاموات الخ فكما
خلق الله الكائنات مختلفة في الوانها واشكالها كذلك لا يمكن
ان يخشاه من عباده الا من لانت طبائعهم من العلماء الذين
يتلون كتاب الله الخ ثم ذكر ما اعد لهم من جنات عدن وما
أعد للكافرين من نار جهنم وبين انهم يستحقون ذلك لانه
جعلهم خلائف في الارض فكفروا به ومن كفر فعليه كفره
ولا انهم اقسموا بالله انن جاءهم نذير ليؤمنن به فلما جاءهم
نفروا منه ومكروا به ولا يحيق المكر الا بأهله كما حاق بمن

كان قبلهم وكانوا اشد منهم فورة الخ ولكنه يؤخرهم الى اجل
مسمي فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيراً

سورة يس

سميت بهذا لافتتاحها بهذا الاسم ويقصد منها اثبات
الرسالة وبيان الغرض منها وهو الانذار بعذاب الله الذي حق
عليهم . وقد ضرب لهم امثلة وآيات تذكروا على قدرة الله عليه
واولها مثل اصحاب القرية الخ وثانيها آية الارض الميتة الخ
وثالثها آية الليل الخ ورابعها آية السفن تجري بهم في البحر
فأن يشاء الله يفرقهم فلا ينفقهم غيره . ومع هذا اذا قيل لهم
اتقوا عذاب الله وانفقوا مما يرزقكم اعرضوا وقالوا متى
هذا الوعد وما هي الا صيحة واحدة تأخذهم فيرون ما أعد
لهم الى ان يقول الله هذه جهنم التي كنتم توعدون فيختم
على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم الخ وان ما يوعدون به
من هذا حقيقة لا خيال لان النبي لم يتعلم الشعر في حياته وما
ينبغي له الخ وخامسها آية الانعام خلقها لهم فلم يشكروه
عليها واتخذوا من دونه آلهة الخ وسادسها آية الانسان خلقه
من نطفة ومع هذا يستبعد أن يبعثه بعد موته وهو الذي

أنشأه أول مرة وجعل من الشجر الاخضر نارا وخلق
السموات والارض واذا أراد شيئا قال له كن فيكون (فسبحان
الذي بيده ملكوت كل شيء وأليه ترجعون)

سورة الصافات

يراد منها تنزيه الله عن الشركاء والبنات واثبات قدرته
على بشتهم وأهلاكهم كما اهلك من قبلهم . وقد اقسم بالصفات
أن الله واحد الخ ثم ذكر انهم أضعف خلقا ممن خلقهم
من الشياطين الذين جرى ذكرهم فهو قادر على ان يبعثهم
وهم داخرون الخ ثم ذكرهم بمن ضل قبلهم من الاولين فأهلكهم
الله حين كذبوا رسلهم : ثم ختم السورة بمثل ما افتتحها به
فتنزه الله عن البنات من الملائكة والجن التي ينسبها المشركون
وذمهم على ذلك ومدح المؤمنين الذين اخلصوا له فلا يمكن
أن يفتنهم عنه . ثم ذكر أنهم كانوا يقولون لو نزل علينا
كتاب كالاولين لكننا عباد الله المخلصين وانهم كفروا به
فسوف يعلمون الخ

سورة ص

يقصد منها اثبات الرسالة وقد اقسم بالقرآن انه رسول

ثم ذكر شبههم عليه واولها انه بشر وثانيها انه ساحر وثالثها
 انه ينكر تعدد الالهة ويخالف بذلك الملة الاخرى (النصرانية)
 ورابعها انه لا يمتاز عليهم حتى ينزل عليه القرآن من بينهم مع
 ان الله هو الرازق يختص بذلك من يشاء . فان كان لهم في
 الامر شيء فليرتقوا في الاسباب ليطلوا امره . ثم ذكر انهم
 سيهزمون كما هزم من قبلهم قوم نوح وعاد الخ ثم امره ان
 يصبر عليهم ليكون له اسوة بالصابرين كداود وسليمان
 وغيرهما ممن قص اخبارهم ليكون فيه ذكر له . ثم ذكر ما اعد
 للمتقين من نعيم وللطاغين من عذاب ليكون فيه ذكر آخر
 ثم ذكر انه ما من اله الا الله الواحد القهار الخ جوابا عن الشبهة
 الثالثة . وان القرآن الذي انكروا تنزيله عليه في الشبهة
 الرابعة ما هو الا نبأ عظيم يأتيهم بما لم يكن للنبي علم به من
 خبير الملا الاعلى اذ يختصموت في امر آدم . ثم ذكر نهأ
 بالاسألم عليه اجرا وما هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه
 بعد حين .

سورة الزمر

سميت بهذا لقوله في آخرها (وسيق الذين كفروا إلى

جهنم زمرا) ويقصد منها اثبات التوحيد وأبطال الشرك .
وقد افتتحها بأن تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم فيجب
ان تخلص له العبادة ولا يعبد غيره ولو على سبيل الزلفى اليه
ثم استدل على أنه لا شريك له ولا ولد يعبد معه بأمر أولها
أنه خالق السموات والارض الخ ثانيها أنه هو الذى اذا مس
الانسان ضر أناب اليه الخ ثالثها انه هو الذى ينزل من السماء
ماء يخرج به ذرعا مختلفا الوانه . . . وأت فى هذا الذكرى
لأولى الابواب ممن شرح الله صدره للإسلام دون القاسية
قلوبهم من ذكر الله الذى نزل أحسن الحديث الخ رابعها ان
من يتخذ آلهة مثله كمبد فيه شركاء متشاكسون لا يمكنه
أن يرضيهم ومن يتخذ لها واحدا مثله كمبد خالص لرجل
ثم ذكر ان الله يحكم بين الفريقين فى هذا يوم القيامة وان
الله فيه الكفاية لعبده فلا يصح له ان يتخذ غيره فاذا خوفوه
بالذين يدعون من دونه فلا يصح له ان يخاف وهو ان
سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله . فهو اذا
اراده بضر لا تكشفه الهتهم عنه الخ . خامسها أنه هو الذى
يقبض النفوس عند الموت وعند النوم فهو صاحب التصرف

وحده وليس لأهلهم شيء عنده حتى يتخذونهم شفعاء له
فالشفاعة لله جميعا له ملك السموات والارض الخ . ثم ذكر
أنهم مع اتخاذهم آلهتهم شفعاء له اذا ذكر وحده اشماؤوا
واذا ذكرت من دونه اذا هم يستبشرون الخ . وان احدهم لا
يعرفه الا اذامسه ضر فاذا خوله نعمة قال انما اوتيته على علم الخ
وسادسها انه خالق كل شيء ويده مقاليذ السموات والارض
الخ ثم ذكر أنهم ماقدروا الله حق قدره اذ يتخذون آلهة غيره
والارض جيمابضته يوم القيامة ... وتفخ في الصور لجمع الخالق
وحسابهم وسيق الكافرون الى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا
ربهم الى الجنة زمرا الخ

سورة المؤمن

سميت بهذا لانه ذكر فيها مؤمن آل فرعون ويقصد
منها تحذيرهم من التكذيب بالقرآن وقد افتتحها بأن تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم ثم ذكر انه ما يجادل فيه الا
الكافرون وانه سيهلكهم كما اهلك قبلهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم وقد همت كل امة برسولهم لياخذوه الخ وكما
اهلك فرعون وهامان وقارون لما ارسل اليهم موسى فقالوا

ساحر كذاب النخ ثم أمر النبي أن يصبر عليهم لأن ما وعده من ذلك حق وذكر أنهم يجادلون في القرآن بغير دلائل وإنما هو الكبر يحملهم على تكذيبه وخلق السموات والأرض أكبر منهم وإن الساعة لآتية وسيدخل جهنم صاغرين أولئك الذين يستكبرون عن عبادة الله وهو الذي جعل لهم الليل ليسكنوا فيه النخ . ثم أمره ثانيا بالصبر وأخبره أن وعد الله حق فاما أن يريه بعضه أو يتوفاه قبله فإن له أجلا كما كان لوعد كل رسول قبله أجل إذا جاء قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون النخ ثم حشهم على السير في الأرض لينظروا كيف حق وعد الله على الأمم العاصية وذكر أنهم كانوا إذا أدركهم يقولون آمنا فلا ينفعهم إيمانهم « سنة الله التي قد خات في عباده وخسر هنالك الكافرون »

سورة حم فصلت

سميت بهذا لقوله فيها — كتاب فصلت آياته — وبقصد منها التنويه بشأن القرآن وتحذيرهم من تكذيبه . وقد ذكر أنه كتاب فصلت آياته النخ ثم ذكر أعراضهم عنه مع أنه لا يدعوهم إلا إلى الله واحد فويل لهم من تكذيبه

والكفر بالله الذي خالق الارض في يومين النخ ثم حذرهم
أن تصيبهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ويفتضح امرهم
في الآخرة فيشهد عليهم سمعهم وابصارهم النخ ثم ذكر أنهم
قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وذكروا ما اعد لهم على
ذلك من عذاب وما اعد للمؤمنين من نعيم . ثم امر النبي ان
يدفع سيئاتهم هذه بالحسنة ويستعين بالله من الشيطان اذا
زين له أن يقابلهم بالشر فان الله سميع عليم ومن آياته الليل
والنهار وغيرها فلا يخفى عليه الذين يلحدون في آياته النخ ثم
ذكر انه لا يقال له من ذلك الا ما قد قيل للرسول من قبله
فصبروا وانه لو جمل هذا القرآن الذي يعرضون عنه اعجبيا
لقالوا لولا فصلت آياته النخ ولولا ان الله اراد تأخير عذابهم
لقضى بينهم ولكنه اخر ساعته الى وقت لا يعلمه الا هو
فاذا جاء عرفوا الله وانكروا شركاءهم وبلغ اليأس منهم
مبلغه . وهكذا عادة الانسان لا يسأم من دعاء الخير وان
مسه الشر فيؤس فنوط النخ ثم سألهم ماذا يفعلون اذا ظهر
أن القرآن من عند الله وجاء يوم عذابهم وسير بهم آياته
في الاتفاق وغيرها حتى يتبين لهم أنه الحق النخ

سورة الشورى

سميت بهذا المذح الشورى فيها وبقصد منها اثبات
التوحيد وأنه وسائر ما جاء النبي به هو دين الانبياء من قبله . وقد
ذكر انه يوحى اليه من ذلك ما أوحى الى الذين من قبله النخ
وأنه أوحى اليه مثلهم بهذا القرآن لينذر قومه بيوم الجمع النخ
ثم فصل هذا الاجمال وذكر انه شرع لهم من الدين ما وحي
به نوحا ومن بعده الى عيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه . وإنما اختلف فيه من جاء بعدهم ولهذا جاء النبي ليدعوهم
اليه ولا يتبع أهواءهم والله يجمع بينه وبينهم واليه المصير النخ
ثم ذكر انه أمان يكون لهم شرعا شرعوا لهم خلاف هذا
الشرع ولولا أن الله قضى بتأخير عذابهم لمذبهم على ذلك
وأن الظالمين لهم عذاب الهم النخ وأما ان يقولوا ان النبي
افتراء على الله فن يشأ يختم على قلبه فلا يدعوهم اليه ويصح الله
بنفسه باطلهم النخ ثم ذكر انهم لا يمجزون انه اذا زاد ذلك فن آياته
الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فتنف او
يغرقها بهم لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون في آياتنا النخ ثم
امرهم ان يستجيبوا لله من قبل ان يأتيهم يوم لا مرد له من الله

فإن أعرضوا فليس على النبي إلا أن يبلغهم فإن الإنسان إذا
فصابه من الله رحمة اغتربها وأعرض كما يمرضون مع إن كل
أشياء لله يخلق ما يشاء الخ

ثم أجاب عن قواهم أنه اقتراه بطريق الاقتناع بعد التهديد
فذكر أنه لا يمكن أن يكلم الله بشرا إلا وحيًا أو من وراء
حجاب أو بواسطة ملك وأنه كذلك يوحى إليه وما كان يدرى
ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدى به من نشاء
من عبادنا وإنك تهدي إلى صراط مستقيم (هو الشرع
السابق) صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض
إلا إلى الله تصير الأمور

سورة الزخرف

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها التنويه بشأن
القرآن وإثبات التوحيد الذي جاء به . وقد نوه بشأن القرآن
ثم أثبت أن الله هو الذي لا يمكنهم أن ينكروا أنه الذي خلق
السموات والأرض الخ . ثم أبطل أن تكون الملائكة بناته
وذكر لهم شبهتين على عبادتها أولاها أنه لو شاء الله ما عبدها
وأجاب عنها بأنهم علالهم لم بذلك وليس هنالك دليل عليه

وإنما هم يقلدون آباءهم فيقولون أنا وجدنا آباءنا الخ . ثم ذكر لهم ما كان من إبراهيم ورفضه تقليداً لآباءه وجعله كلمة التوحيد باقية في نسله إلى أن ضل عنها هؤلاء المشركون فلما جاءهم الرسول يدعوم إليها قالوا هذا سحر وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الخ ثم أمره أن يستمسك بالذي أوحى إليه من نفى الشركاء كما استمسك به الرسل من قبله وذكر له منهم موسى وما جرى له مع فرعون . والثانية أنهم قالوا أنها مثل عيسى الذي اتخذ النصارى ولداً وقد أجاب عنها بجوابين أولهما أنه لم يكن إلا عبداً أنعم الله عليه الخ وثانيهما أنه لو كان لله ولد عيسى أو غيره لكان أول من يعبده وسبحان الله أن يكون له ولد وهو رب السموات والأرض الخ

سورة الدخان

سميت بهذا لذكر لفظه فيها وبراد منها التنويه بشأن القرآن وتحذيرهم من تكذيبه بعذاب يأتيهم يوم تأتي السماء بدخان مبين إذا نزل بهم القحط ثم يكشفه عنهم ويبطش بهم البطشة الكبرى يوم بدر أو يوم القيامة . وهذا كما بطش بفرون عفاغرة ونجى بنى إسرائيل واختارهم على العالمين الخ

سورة الجاثية

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ، يقصد منها الاحتجاج على صحة القرآن وما جاء به من التوحيد بآيات الله في السموات والارض النخ . وتحذيرهم من تكذيبه بما وراءهم من عذاب جهنم لا يغني عنهم ما كسبوا شيئا النخ ثم ذكر انه اتى بنى اسرائيل الكتاب فاختلّفوا فيه من بعد ما جاءهم العلم واتبعوا أهواءهم ثم اتاه شريعة مثلها فيجب ان يتبها ولا يتبع أهواء قومه انهم لن يغفوا عنه من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين . فانه لا ينكر ان يستوى الفريقان في ذلك بل لا بد أن تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون . ثم ذكر انكارهم للبعث الذى يلاقون بعده ذلك وختم السورة بالكلام عليه

سورة الاحقاف

سميت بهذا لذكر أهل الاحقاف فيها ويقصد منها اثبات تنزيل القرآن . وقد ذكر انه منزل من الله العزيز الحكيم لذي خلق السموات والارض وما بينهما بالحق ألخ ثم ذكر انهم قالوا انه مفترى وأجاب عن ذلك ثم ذكر انهم قالوا لو

كان خيرا ما سبقنا اليه صعبا ليكننا وكان فيها اجاب به عن ذلك
مدحهم بانهم الذين قالوا ربنا الله الخ وبأن منهم الذي أحسن
الى والديه وقال رب اوزعني الخ ومن اعدائهم الذي قال
لو اديه اف لكما الخ ثم ذكر لهم قصة عاد بالاحقاف وانهم
كانوا اغني منهم فلم يغن عنهم ذاك شيئا . ثم ذكر ان القرآن الذي
يشكرون ان يكون خيرا سمعه نقر من الجنة فآمنوا به
وولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا الخ ثم أمره ان يصبر
على اذام وينتظر ما يوعدون به كأنهم يوم يرونه لم يلبثوا الا
ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون .

سورة القتال

سميت بهذا لانه ذكرت فيها احكامه وتحريمه عليه
وقد ذكر الكافرين ومسلمهم عن سبيل الله والمؤمنين واتباعهم
الحق من ربهم ثم سلطهم على قتالهم ورفيعهم فيه بأن الذين
يقتلون منهم فيه لن يفضل اعمالهم الخ وبأنه ينصرهم عليهم
ويثبت أقدامهم الخ وبأنه يدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار الخ ثم ذكر المنافقين الذين لا يرغبون في القتال
وذمهم وشرح أحوالهم . ثم بين المسلمين ان يهنوا في القتال

وهون عليهم امر الحياة ودعاهم الى الاتفاق من اموالهم في القتال وختم السورة بذلك

سورة الفتح

سميت بهذا لانها نزلت في غزوة الفتح . وقد ذكر انه كان فتحا مبينا وانه نصره به نصراً عزيزا وانه أنزل السكينة في قلوب المؤمنين حتى تم لهم . ثم مدحهم إذ بايعوه على القتال ووافقوا بهدم ودم الذين تخلفوا من المنافقين وامر النبي ان لا يقبلهم بعد هذا إذا انطلقوا إلى مناهم فطلبوا منهم ان يتبعوه . وذكر أنهم إذا أرادوا أن يكفروا عن تخلفهم فسيدعون إلى قوم أولى بأس الخ . ثم ذكر أنه رضى عن المؤمنين عام الحديبية إذ منعوا من دخول مكة وبايعوا النبي تحت الشجرة فأنابهم بهذا الفتح الخ

سورة الحجرات

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويراد منها إرشاد المؤمنين إلى طائفة من الآداب كأن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله ولا يرفعوا اصواتهم فوق صوته ولا يتنادوه من وراء الحجرات ولا يسمعوا قول الفاسق اذا جاءهم نبأ حتى يتبينوه

وان يصلحوا بين المتقاتلين ولا يسخر بعضهم من بعض
ويحتنبوا ظن السوء ولا يغتب بعضهم بعضا فهم اخوان خلقهم
الله من ذكر وانثى الخ ثم ذكر الاعراب وضعف ايمانهم لانهم الذين
كانوا يرفعون أصواتهم وينادونه من وراء الحجرات وختم
السورة بالكلام عليهم

سورة ق

يراد منها إثبات البعث وقد أقسم بالقرآن انهم يبعثون ثم
ذكر انهم ينكرون ان يبعثوا بعد ان يصبروا تراباً وناكلهم
الارض وأجاب بأنه يعلم ما تنقص الارض منهم وذكر لهم
كيف بنى السماء الخ وانه لم يمس بخافهم اول مرة وانه خالق
الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه الخ ثم أمر النبي ان يصبر
على ما يقولون من ذلك ويستمع يوم ينادي المناد الخ

سورة الذاريات

يراد منها إثبات ما يوعدون من عذاب الدنيا والآخرة
وقد أقسم على ذلك بالذاريات وما معها ثم ذكر سؤالهم عن
زمانه وأجاب بأنه يوم هم على النار يفتنون الخ ثم ذكر ما يدل
عليه من آيات الله في الارض وفي انفسهم الخ وانه وقع لمن

قبلهم من الارلين قوم لوط وفرعون وعاد الخ ثم أمرهم ان
يفرروا الى الله تبارك وتعالى ان يأتيهم ولا يجعلوا معه الها آخرو وذكر
انهم اذا كذبوه في ذلك فقد كذب به اولئك الاقوام من
قبلهم فليس عليه الا ان يتولى عنهم ويذكر المؤمنين الخ

سورة الطور

وهي في ذلك العذاب أيضا وقد أقسم عليه بالطور وما
معه ثم فصل ما يحصل لهم فيه وكذلك ما أعد للمتقين ثم
أمر النبي أن يذكر بهذا من يتذكر ونفى عنه ما يرمونه به من
من الكهانة والجنون والشعر الخ ليعلموا أن ذلك حق ثم
أمره ان يتركهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون الخ

سورة النجم

يراد منها اثبات اتصال النبي بالملائكة الاعلى وتنزيه الله عن
أن يكون لها شركاء من اللات والعزى ومناة التي يتخذونها
على مثال الملائكة ويقولون انها بنات الله ويتظنون شفاعتها
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد
أن يأذن الله الخ ثم أمر النبي ان يعرض عنهم وذكر انهم
لا علم لهم بذلك ولا بد أن يحزوا على اسماهم ولا شفاعه

لهم كما يجزى الذين أحسنوا بالحسنى الخ ثم سفه من يضمن
منهم عذاب الله أو يحمله عن غيره ثائن عنده علم الغيب أو
لم يبدأ بما في صحف موسى وإبراهيم الأنزروا وازرة وذرا أخرى الخ
(سورة القمر) يراد منها إثبات المعاد وقد ذكر أن

الساعة قد اقتربت ثم حذرهم من التكذيب بها بما جرى قبلهم
لمن كذب بها من قوم نوح وعاد الخ

(سورة الرحمن) يقصد منها دعوتهم إلى الله بمراد
نعمه عليهم وبيان ما أعد للمجرمين من العذاب ولمن خاف
مقام ربه من نعيم الجنات

(سورة الواقعة) الغرض منها التذكير بيوم القيامة وما
أعد فيها لأصحاب الميمنة والسابقين منهم وكذا أصحاب المشأمة
وقد ذكر هؤلاء بمد هذا بأنه هو الذي خلقهم وقدر بينهم
الموت فهو قادر على أن ينشئهم نشأة أخرى الخ ثم أقسم بمواقع
النجوم أن القرآن الذي يعدم بهذا قرآن كريم الخ وذكر أنهم
إذا كانوا يكذبون بحديث البعث فهلا إذا بلغت الروح
الحلقوم عند الموت يرجعون إذا كانوا صادقين في أنهم لا يبعثون
ولا يدانون الخ

(سورة الحديد) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها بيان عظمة الله ودعوتهم إلى الإيمان به ورسوله وإلى الاتفاق في سبيله وتوغييبهم فيه بما ذكر فيها من وجوه الترغيب

(سورة المجادلة) سميت بهذا لأنها نزلت في مجادلة النبي في الظهار وكان في الجاهلية من أشد أنواع الطلاق ويقتضي فرقة مؤبدة فشرع الله له أحكاما أخرى وحذرهم من تعديها وهدد من يتعدى حدوده أو يحاد الله ورسوله من المنافقين وغيرهم وذكر أنه يعلم ما يتناجون به من ذلك : ثم نهى المؤمنين أن يتناجوا مثلهم بالاثم والعدوان لتسلا يتباغضوا وأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض في المجالس ليتعابوا . ثم أمرهم إذا ناجوا الرشول أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة الخ ثم عاد إلى المنافقين الذين يحادون الله ويتولون عنه وختم السورة بالكلام عليهم

(سورة الحشر) سميت بهذا لأنها نزلت في إجلاء بني النضير وحشرهم إلى الشام وقسمة فيثهم على الأصناف الخمسة المعلومة ومنهم فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ثم وفي شرح ما كان من المنافقين معهم من قولهم لهم اتن

أخرجهم ليخرجن معكم الخ وفي أمر المؤمنين بتقوى الله وإن
لا يذكروا كالمناقضين الذين نسوا الله وقد أنزل عليهم هذا
القرآن الذي لو أنزل على جبل لتصدع من خشية الله الخ

(سورة الممتحنة) سميت بهذا لأن مما نزلت فيه امتحان
المهاجرات وقد نزلت في أمور متجانسة أولها نهى المؤمنين
عن اتخاذ أعدائهم من الكفار أولياء وهم الذين قاتلهم
وأخرجهم من ديارهم بخلاف غيرهم . وثانيها نهى عن إرجاع
المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن من الكفار وإباحة نكاحهن
لهم وتحريم الكواقر عليهم . وثالثها في أمر النبي بمبايعة
المؤمنات إذا بايعنه على أن لا يشركوا بالله الخ

(سورة الصف) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويراد
منها توثيق المؤمنين في الجهاد وتحذيرهم من القول فيه بغير
عمل لئلا يزيع الله قلوبهم كما أزاغ قلوب قوم موسى الخ وقد
ذكر أن الكفار يريدون أن يطفئوا نور الله ليغربهم عليهم وأن
الجهاد في سبيل الله تجارة رابحة تنجيهم من عذاب اليم الخ

(سورة الجمعة) سميت بهذا لأنها فرضت فيها للمؤمنين
بدل السبت لليهود بعد أن رد على اليهود زعمهم أنهم أولياء

لله من دون الناس فلا يمكن ان يبعث من الاميين
(العرب) نبي

(سورة المنافقين) سميت بهذا لان كل آياتها فيهم
وتحذير المؤمنين منهم

(سورة التغابن) سميت بهذا لذكر افظه فيها ويقصد
منها اثبات التوحيد والبعث وتحذير الكفار من عذاب
الدنيا والاخرة ودعوتهم الى طاعة الله والرسول فهي خير
لهم من أزواجهم وأولادهم وأموالهم التي هي سبب فتنتهم

(سورة الطلاق) سميت بهذا لانها نزلت في احكام
الطلاق وما يتصل به من عدة ورضاع وقد ختمت بتحذيرهم
من مخالفة أمر ربهم فيه لئلا يصيبهم ما أصاب كل قرية عنت
عن أمر ربها النخ

(سورة التحريم) سميت بهذا لانها نزلت في تحريم
مارية وقد أسر به النبي الى حفصة فأخبرت به عائشة فأمرها
الله بالتوبة من ذلك وحذرهما فيمن حذرهم نارا وقودها
الناس والحجارة النخ

(سورة الملك) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها

الدعوة الى الايمان بالله والتحذير من الكفر به
(سورة القلم) سميت بهذا لانه أقسم به فيها ويراد منها
تنزيه النبي عما يرمونه به من الجنون وأنت ما يتلوه عليهم
أساطير الأولين وتهديتهم على ذلك بما هددهم به
(سورة الحاقة) وهي القيامة التي كذبت بها ثمود وعاد
ويراد من السورة تهويل أمرها وشرح بعض أحوالها
(سورة الماعارج) سميت بهذا لذكر لفظه فيها وهي في
عذاب يوم الآخرة الذي سأل عنه بعضهم فأجيب بأنه واقع الخ
(سورة نوح) سميت بهذا لانها من أولها الى آخرها في قصته
(سورة الجن) سميت بهذا لانها نزلت في الجن حين
استمعوا القرآن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا وقد مضى في
كلامهم الى ان ذكروا أن منهم مسلمين ومنهم فاسقون
فقال عن هؤلاء بقطع النظر عن كونهم من الجن انهم لو استقاموا
على الطريقة لاستقيناهم ماء غدقا وختم السورة بالكلام فيهم
(سورة المزمل) يراد منها ارشاد النبي الى ما ذكر فيها
من احكام وآداب وتصبيره على أذى قومه وتحذيرهم من مخالفته
(سورة المدثر) يراد منها ارشاد النبي ايضا وتصبيره وتحذيرهم

(سورة القيامة) سميت بهذا لانه اقسام بها ليعتقن
وكلمها سياق واحد في البعث وما يتعلق به . وقوله لا تحرك
به لسانك ليس فيه قطع للسياق بل هو خطاب للانسان
المذكور في قوله « ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر » اذا
قرأ كتاب أعماله بسرعة

(سورة الدهر) سميت بهذا لذكر لفظه فيها وقد قسم
فيها الانسان الى شاكر وكافر وبين ما أعد لكل منهما
وختمت بتصوير النبي ونبيه عن طاعة كل آثم وكافر

(سورة المرسلات) يراد منها اثبات البعث وتهديد
بما يوعدون فيه وكذلك سورة النبأ والنازعات

(سورة عبس) يقصد منها عقاب النبي وقد عبس لمن
جاءه للتذكيرة وتصدى لمن استغنى عنها وقد ختمها برفع شأن
تلك التذكيرة ومدح من يتذكر بها وضم من يكفر بها ولقته اليها
(سورة التكويد) سميت بهذا لقوله فيها « كورت »

ويقصد منها بيان ان كل نفس مسئولة عما قدمت يوم
الآخرة وان ذلك لا شك فيه لانه قول رسول كريم الخ
وكذلك سورة الانفطار

(سورة المطففين) يراد منها تحريم التطفيف وتهديد
المطففين الفجار وتبشير الابرار الذين لا يطغفون
(سورة الانشقاق) سميت بهذا لقوله فيها (انشقت)
ويقصد منها ان كل انسان ملاق عمله يوم القيامة وتفصيل ذلك
(سورة البروج) يقصد منها تهديد المشركين بمثل
ما جرى لاصحاب الاخدود وفرعون واثود
(سورة الطارق) يقصد منها بيان ان كل انسان
محفوظ عليه عمله وان الله قادر على رجعه ليحاسبه عليه
(سورة الاحقاف) سميت بهذا لذكر افضله فيها ويقصد
منها الدعوة الى الله فمن اجاب نجا ومن خالف هلك
(سورة الغاشية) هي القيامة التي تكون فيها وجوه
خاشعة ووجوه ناعمة النخ وقد ختمت بلفت نظرهم الى الابل
كيف خلقت ... ليعلموا ان الله قادر على بعثهم
(سورة الفجر) سميت بهذا لانه اقسم فيها بالفجر وما
معه انهم ليعذبون كما عذبت عاد وثمود وفرعون وقد ذكر
بعد هذا ان الله لهم بالمرصاد يرى رضاهم اذا اكرمهم
وخطيئتهم اذا ضيق رزقهم وانهم لا ينكرون اليتم للفقير

(سورة البلد) هي مكة وقد اقسم بها انه خلق الانسان
يكابد المصائب وانشدائد فلا يصح له ان يفتخر بقوته وبما
ينفقه في وجوه الشر وقد جعل الله له عينين واساها وبين له
طريق الخير والشر فهلا أنفق ماله في فك رقبة الخ
(سورة الشمس) أقسم بالشمس وما معها ان من يزكي
نفسه يفلح ومن لا يزكها يخيب كما خابت نود حينما كذبت رسوطها
(سورة الليل) يقصد منها تقسيم الناس الى فريقين
طائع وعاص وبيان حال الفريقين

(سورة الضحى) يراد منها تطيب خاطر النبي وبيان
فضل الله عليه وكذلك سورة الانشراح
(سورة التين) سميت بهذا لانه اقسم به انه خلق
الانسان في أحسن تقويم الخ فهو قادر على بعثه يوم الدين
(سورة العلق) يقصد منها الدعوة الى الله وذم من يصدر
عنه ويكذب به وتهديده اذا لم ينته عن ذلك بما هدد به
(سورة القدر) يراد منها تشريف ليلة القدر التي أنزل
فيها القرآن الكريم

(سورة البينة) وهي محمد الذي لو لم يبعث لبقى الكافرون

على كفرهم فالسورة في بيان الحاجة الى رسالته
(سورة الزلزال) يقصد منها التذكير بيوم القيامة الذي
يجازى فيه الناس على أعمالهم من خير او شر
(سورة العاديات) وهي الخيل تعدو في الجهاد اقسام
بها ان الانسان كنود وهدده على ذلك بما هدده به
(سورة القارة) وهي القيامة ويراد من السورة
شرحها وبيان حال من ثقات او خفت موازينه فيها
(سورة التكاثر) يقصد منها ردعهم عن التكاثر بالاموال
والاولاد للذي املهم من طاعة الله
(سورة المعصر) يقصد منها بيان فضل العمل الصالح
والتواصي بالحق والصبر

(سورة الهمزة) يقصد منها تحريم الهمز واللمز
(سورة الفيل) يراد منها التذكير بعناية الله بالبيت الحرام
(سورة قريش) الغرض منها دعوتهم الى عبادته
(سورة الماعون) سميت بهذا لانه حرم فيها امور منها منع الماعون
(سورة الكوثر) يراد منها تشريف النبي وانه اعطى
ما هو خير من الولد

(سورة الكافرون) ان فرض منها قطع طمع الكافرين
من موافقة النبي لهم
(سورة النصر) يقصد منها تبشير النبي بالنصر على
اعدائه ودخول النار في دينه أفواجا
(سورة الهمم) نزلت في نهدي أبي لهب وامرأته حمالة الحطب
(سورة الاخلاص) يقصد منها تنزيه الله عن
الشريك والولد

(سورة الفلق) يراد منها ارشاد الناس الى الالتجاء
الى الله في دفع شرور الخلق التي تؤذي الجسد . ويراد من
سورة الناس ارشادهم الى الالتجاء اليه في دفع ما يفسد منها
القلب وبالسورتين ختم القرآن والدعاء بتأبب الختام

نظرات ختاميات

- ١ -

توجد سور كثيرة تتفق في غرض واحد كآيات
يحيى ومثل القرآن في هذا صحيفة من صحفنا اليومية
ت نفسا لغرض وطني او ديني . أليست تصدر كل يوم
ها ذلك الغرض بلون لا يختلف عن سابقه في الجوهر

ولا يسألمها القراء بل يقبلون عليها بشغف . فلا غرابة في أن
يسلك القرآن هذا السبيل في تأييد الدعوة الإسلامية . وإنما
كان يكون غريباً أن يصدر بلون واحد في اثبات التوحيد
مثلاً يكرره أمام أصرارهم ثلاثاً وعشرين سنة

- ٢ -

ان السورة قد تكون في اثبات صحة القرآن ولا
تخلو من كلام في التوحيد أو الرسالة أو المعاد أو الوعد
والوعيد والعكس بالعكس وسبب هذا ان هذه أمور جاء
بها القرآن وكانت سبباً في انكارهم له فلما اشتركت في هذا
صح ان تأتي السورة في بعضها ثم تتناول في بعض نواحيها غيره منها
(تم الجزء الثالث)

(تنبيه) رقم في سورة الكهف خطأ في وضع العناوين

لا يخفى على القارئ

وفي أول صفحة ٢٢٣ يزداد كلمة (تهديم و)

